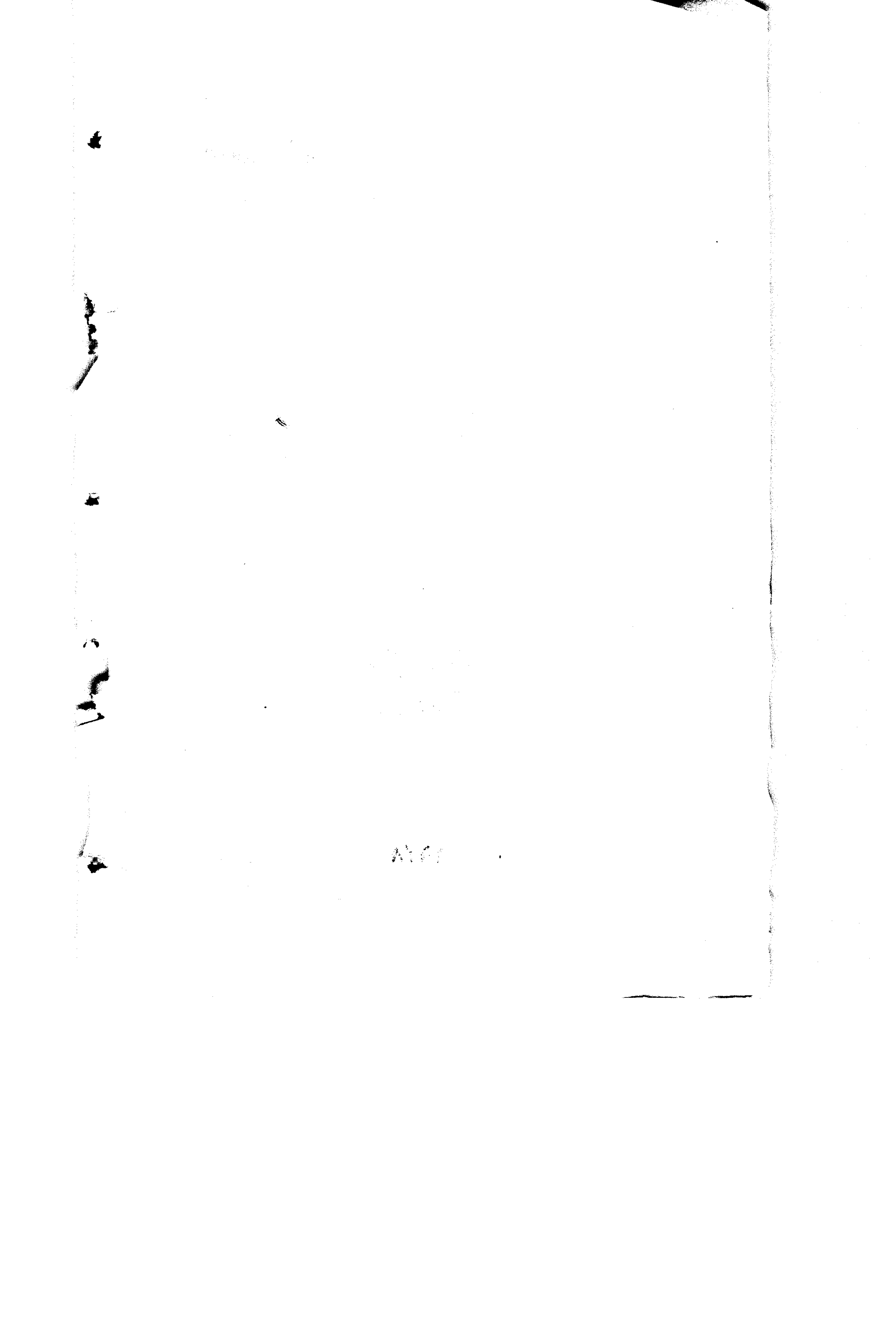
جامعة طنطا
كلية التربية

نظرات فى الأدب واللغة

تاليف
دكتور
محمود على السمان
المدرس بكلية التربية
جامعة طنطا

١٩٧٨



مقـــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى وأصلى وأسلم على رسوله الكريم

وبعد

فهذه دراسات نظرتُ فى جزء منها الى أعمال أدبية متنوعة نظرات مختلفة ثم نظرتُ فى الجزء الثانى منها الى موضوعين هامين فى اللغة نظرة قد تكون وجيهة ..

أما الأعمال الأدبية فهى :

١ ـ أهل الكهف لتوفيق الحكيم ، وقد عرضت لها بالتحليل والنقد، وهى عمل رائد فى المسرح الذهنى فى أدبنا العربى ، وفيها حكاية لصراع القديم والجديد الذى كان مجتمعنا فى زمن اصدارها يعج به .

٢ ـ كفاح طيبة لنجيب محفوظ ، وقد عرضت لها كذلك بالتحليل والنقد، وهى قصة تاريخية وطنية من أوائل ما كتب المؤلف ، فهى وان لم تكن من أفضل أعماله فنيا ، الا أنها مرتبطة موضوعيا بالفترة التى كتبت فيها ، وهى فترة النضال الوطنى المتصاعد ارتباطا وثيقا .

٣ ـ مرآة الاسلام للدكتور طه حسين ، وقد عرضت فيها بالتلخيص والتعليق لسيرة الرسول عليه السلام ، وهى الجزء الأول من المرآة . وهـــو كتاب يجلى معالم السيرة بالأسلوب الرقيق الذى اختص به طه حسين ، ليكسب الحقائق رونقا وبهاء ، فتتمكن فى العقول والقلوب أشد تمكن .

ولو قد تفرسنا فى الكتب الثلاثة المختارة للبحث على تنوعها شكـــلا وموضوعا ، لوجدنا أن خيطا دقيقا ينتظمها ، فقد كان ثمة صراع بين القديم والجديد كما فى « أهل الكهف » ، تجاوزه النضال الوطنى ، وشق طريقه من خلاله الى غايته كما فى « كفاح طيبة » ، رافعا راية القيم والمبادىء العربية الاسلامية ، ومهتديا بهدى صاحب السيرة المطهرة كما فى «مرآةالاسلام » .

وهكذا حتى ينجلى الليل عن صبح الثورة ، ويطلع الفجر بانتصار أكتوبر سنة ١٩٧٣ فيشدو الشعر على قيثارة أبولو ، وهذا يفضى بنا الى العمل الأدبى الرابع وهو :

٤ ـ قصيدة « أغنية النصر » ، وهى قصيدة غناها الشاعر الدكتور أحمد هيكل فى عيد انتصارنا الأكتوبرى العظيم عام ١٩٧٣ م على العدو الذى ظن وظن به أنه لا يقهر ٠



٥ ـ وقد ختمت كل هذه الأعمال العظيمة بعمل أدبى خاص متواضع أحببت أن يلحق بها ليجد فى جوارها أنسا بعد وحشة ، وظهورا بعد خفاء ، وهى قصائد نظمتها فى مناسبات شتى احتفلت بها الكلية ، فشئت أن أشارك فيها بالرأى شعراً مع المشاركين ٠

وأما الأعمال اللغوية ، فهما كذلك عملان يرتبط كل منهما بالآخر ، أو تؤدى دراسة الأول منهما الى دراسة الثانى ٠

فأما الأول فهو الشذوذ والقاعدة فى لغة العرب ، وهو بحث يستهدف التنبيه الى أهمية دراسة الشذوذ فى اللغة الى جوار القواعد ، فهو جزء لايتجزأ من اللغة ، ونحن لانستعمل فى كلامنا ما يجرى على القواعد فحسب، بل قد نستعمل فيه كذلك ما جاء من لغة العرب شاذا عن هذه القواعد ، فدراسة الشذوذ تكملة لدراسة القواعد ، وهو يزيدها بدراسته وضوحا ورسوخا ٠

وأما الثانى فهو الاخطاء اللغوية الشائعة ، وهي تقابل الشذوذ فى أنها ليست صوابا بل هى انحراف عن سنن اللغة ٠ فاذا كان علينا أن ندرس الشذوذ لنضيفه الى ذخيرتنا اللغوية فعلينا أن ندرس الأخطاء اللغوية لنجتنبها فى استعمالنا الأدبى ٠ وقد دعانى الى الكتابة عنها كذلك انها شاعت شيوعا جعلها تشكل على لغتنا خطرا شديدا ، وجعل التصدى لها بجهد جماعى وبتخطيط محكم واجبا قوميا وحتميا ٠

والله ولى التوفيق

دكتور محمود السمان

طنطا فى ١٩٧٨/٢/١٧

أهل الكهف لتوفيق الحكيم

عرض وتحليل ونقد

مقدمة وتمهيد

وفدت المسرحية الى أدبنا العربى فى العصر الحديث منذ القرن التاسع عشر جنسا جديدا من الاجناس الادبيه ، فلم يكن للادب العربى من قبل ذلك عهد بها ٠ وقد كان يمكن ان ياخذ العرب هذا الفن عن اليونان اخذهم غيره من العلوم الاخرى كالفلسفه والمنطق عند ازدهار الترجمه فى العصر العباسى لولا اسباب حالت دون ذلك ٠

وقبل أن يأخذ هذا الفن الجديد مكانه فى أدبنا العربى الحديث ، وبالشكل الذى صار عليه مهدت لقيامه بعض الفنون الشعبيه كخيال الظل والأراجوز وصندوق الدنيا ٠

وقد بدت بشائر هذا الفن الجديد حين أخذ العرب يترجمون أو يقتبسون أو يعربون المسرحيات الغربية ثم يمثلونها فيما أنشأوه من مسارح ٠ ثم اكتمل شكل هذا الفن حين أخذوا يؤلفون المسرحيات العربية شعرية ونثرية ٠

ولأن المسرحية قصة تمثل فتاريخ المسرحية هو تاريخ المسرح ، والحديث عن المسرحية يرتبط أو يتوحد بالحديث عن المسرح ٠ ويعتبر مارون نقاش فى نصف القرن التاسع عشر رائد الفن المسرحى فى العالم العربى فقد كون وشقيقه نيقولا أول فرقة تمثيلية سنة ١٨٤٨ فى سورية ، كما يعتبر يعقوب صنوع أول من أقام مسرحا عربيا فى مصر سنة ١٨٧٠ ٠

وجدت المحاولات لاقامة المسرح العربى فى مصر ، وتكونت فرق تمثيلية عربية كجمعية أنصار التمثيل ، وجمعية رقى الأدب والتمثيل ، وشركة ترقية التمثيل العربى ، وفرقتى يوسف وهبى وفاطمة رشدى ٠ وقد قدمت هذه الفرق وغيرها الكثير من المسرحيات ما بين مؤلف ومترجم ومقتبس ٠ وتقوم الدولة منذ حين بدعم المسرح وانعاشه ، فقد قدمت الحكومة الى الفرق التمثيلية اعانات مالية ، وغذت المسرح بروائع المسرحيات العالمية المترجمة ، ونظمت مسابقات للتاليف المسرحى ، وصرفت للمسرحيات الفائزة جوائز مالية ، وأنشأت المعهد العالى لفن التمثيل العربى لتخريج الممثلين ، وكونت المسرح المدرسى والفرق القومية وفرق التليفزيون ٠

وقد ترجمت عديد من المسرحيات وألفت مسرحيات كثيرة ·

ومن كتبوا المسرحية نثرا أو شعرا : نجيب الحداد ومحمد تيمور وفرح أنطون ومحمود تيمور وسليمان نجيب وتوفيق الحكيم وخليل مطران واحمد شوقي وعزيز أباظة وعلى أحمد باكثير وعبد الرحمن الشرقاوى وصلاح عبد الصبور ·

وفى سنة ١٩٢٧ أصدر أحمد شوقي أول مسرحية شعرية ، وهي مصرع كليوباترا ، ثم تلتها مسرحياته الأخرى ، ثم تبعه بعض كبار أدبائنا من الشعراء والكتاب كمحمود تيمور وتوفيق الحكيم وعزيز أباظة وغيرهم ·

ومن أشهر ما مثل من المسرحيات المؤلفة : مصرع كليوباترا ومجنون ليلى لأحمد شوقي ، وصلاح الدين الايوبى لنجيب الحداد ، وأهل الكهف وشهر زاد لتوفيق الحكيم ، وغروب الاندلس والعباسة لعزيز أباظة ··· الى غير ذلك من المسرحيات ·

ولكن بالرغم من أنه قد أصبح لدينا عديد من المسرحيات ، فان فن المسرحية ما زال نجاحه عندنا محدودا ، ذلك لان عمر هذا الفن فى لغتنا قصير فليس لنا منه ما لغيرنا من تراث . ولان التشجيع عليه لا يزال قليلا ، ولأن انتشار المسرحية كذلك قليل ، والمسارح غير كافية عددا ولا وافية عدة ، ولان « السينما » قد نافستها منافسة خطيرة — ثم لأن بعض من تصدوا لكتابة المسرحية لم يقصدوا من ذلك الا الى الكسب الرخيص فانحدروا بمستواها الفنى الرفيع ، وبعض من تصدوا لنقد تلك المسرحيات لم يخلصوا فى حمد ما يحمد منها أو ذم ما يذم ، بل دفعهم الى كلا الحمد والذم لها علائق شخصية أو مصالح مادية ·

والمسرح يمثل مكانا رفيعا فى الدول المتقدمة لأنه من الفنون الأدبية ذات التأثير الفعال على جماهير الشعب ، وفى السمو بأذواقه ومشاعره وفى حياته العامة والخاصة ، فمن حقه أن ينال من الدولة والأفراد من الرعاية والاهتمام ما يضعه فى المكان الذى ينبغى أن يوضع فيه ·

وتوفيق الحكيم من أغزر الادباء المعاصرين فى المسرحية انتاجا ، وأعظمهم اقتدارا ، وأكثرهم شهرة · ويعتبر هو ومحمود تيمور بحق زعيمى المسرح النثرى فى بلادنا ·

وقد كتب توفيق الحكيم كلا من المسرحيـــة الاجتماعية والمسرحيـــة الذهنية ، وقد شاركه الكثيرون فى كتابة النوع الأول ولكنه تفرد بكتابة المسرحية الذهنية ، ونشر منها عديدا من المسرحيات أولاها : « أهل الكهف»، ومنها : بجماليون وشهر زاد والملك أوديب وايزيس ورحلة الغد ..

وقـــد قصدت من هذا العمل الذى بدأته فى هـــذا الفن العظـــيم ـ فن المسرحية ـ بالحديث عن « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم ـ أن يكون بدايه لاطلالة على اعمال شوامخ فى أدبنا العربى المعاصر شعرا ونثرا . ولأن هذا العمل مجرد اطلالة فقد لا يكون فيه غير عرض لتلك الاعمال من وجهات نظر مختلفة سوف أتدخل فيها بوجهة نظر خاصة أو بوجهة نظر مؤيدة أو معارضة ، كما سوف أتدخل لتفسير ما قد يكون غامضا فى هذه الأعمال من غايات أو أسباب . وقد يكون أهم ما فى هذا العمل أنه يعيد التنبيه الى قيمة هـــذه الشوامخ حتى تزهو بالقدر الذى تستحق ، فيستقبلها المتلقون من القراء مفرغين فى قراءتها جهدهم كله ليتخرجوا فيها مدرسة للادب بشتى أنواعه وقد يصبح منهم الأساتذة فى هذه المدرسة وفى غيرها من المدارس الأدبية .

حكاية أهل الكهف :

تتلخص حكاية أهل الكهف كما يقصها توفيق الحكيم ـ فى أن ثلاثة رجال من الذين اعتنقوا المسيحية فى عهد « دقيانوس » الوثنى الطاغية عدو المسيحية ، فروا بدينهم من وجهه ، ولاذوا بكهف لبثوا فيه ومعهم كلبهم نيفا وثلثمائة عام نائمين ، ثم استيقظوا بعد ذلك الزمان الطويل ، فأنكرهم الناس وصدوا عنهم ، بل ان كلبهم أنكرته كلاب المجتمع الجديد وجرت خلفه تريد الفتك به ، حتى اضطرته الى الهروب واللجوء فى الكهف ليسلم الروح فيه .

ولم يجد كل من الرجال الثلاثة أمله الذى كان يعيش من أجله ، فلم يجد « ميشلينيا » حبيبته « بريسكا » ابنـــة « دقيانوس » التى اعتنقت المسيحية سرا من أجله ، واتفق معها على الزواج ، لأنها كانت قد ماتت من زمان بعيد . وكذلك لم يجد « مرنوش » زوجته وولده . ولم يجد « يمليخا » غنمه التى كان يحبها .

ولما عرف كل منهم أن أمله قد ذهب مع الزمان ، ضاقوا بالحياة ، وعادوا

الى الكهف من جديد مؤثرين المـــوت فيه على الحيـــاة فى مجتمع ينكرهم وينكرونه ٠

بناء المسرحية : ويشمل :

(أ) البناء الفنى (أقسام المسرحية أو مشاهدها ، وشخوصها ومكانها وزمانها وأسلوبها ولغتها ٠٠٠٠) ٠

(ب) البناء الفكرى (مواقف المسرحية وأحداث كل موقف) ٠

أولا : البناء الفنى :

(أ) فصول المسرحية وشخوصها ٠٠

تتكون المسرحية من أربعة فصول كل فصل من مشهد واحد ، وتدور أحداثها حول شخوص محددين بأسمائهم ، وشخوص تركها المؤلف دون أن يحدد أسماء لها ، فأهل الكهف الثلاثة هم : « مرنوش » و « ميشلينيا » الوزيران و « يمليخا » الراعى ، ورابعهم كلبهم « قطمير» ، ولم يطلق المؤلف اسما على الملك لأنه وجد اختلافا بين المفسرين المسلمين حوله بل حول عصر الامبراطور الذى عاش أهل الكهف فيه ، وان كان قد أخذ بما جاء فى التاريخ الكنسى من أن اسم ذلك الامبراطور «دقيانوس» ، وأطلق اسم «الرقيم» على الوادى الذى وجد به الكهف ، وسمى المدينة التى ظهر فيها أهل الكهف « طرسوس » أخذا برأى « البيضاوى » أحد مفسرى القرآن الكريم ٠

ومن الشخصيات التى أضافها من خياله « بريسكا » التى حملت اسم جدتها التى كان « مشلينيا » يحبها قبل لجوئه الى الكهف، وعاد ليحب حفيدتها وسميتها بدون جدوى بعد خروجه من الكهف ، وقد سمى المؤلف مؤدبها باسم « غالياس » ٠

ومن الشخصيات غير المسماة شخصية الفارس الذى قابل يلميخا وفزع منه ، ثم أهل القصر وأهل المدينة ٠

(ب)**المكان :** لقد جعل الحكيم الكهف مسرحا لأحداث الفصلين الأول والأخير ، وجعل قصر الملك أو بهو الاعمدة فيه مكانا لاحداث الفصلين الثانى والثالث ٠

(ج) **الزمان :** ويمكن استنتاجه فى كل فصل على حدة فقد استيقظ أهل الكهف فى الفصل الاول فى مطلع النهار وان ظنوا بسبب ظلمة الكهف انهم قد استيقظوا ليلا ، وأما الفصل الثانى فقد حدث فى آخر النهار وأما الفصل الثالث فقد حدث أثناء الليل ، وأما الاخير فقد حدث فى النهار ٠

(د) وأما **أسلوبها** فهو مزاج معتدل من الروح المصرى العذب والروح الأوربى القوى ، ويظهر الروح المصرى فى القصة حين نشعر بسهولة النفس وعذوبتها وبالعبث الخفيف وبالالفاظ والجمل التى تصور النفس المصرية الآن كما صورتها فى أزمان مختلفة منذ كان للمصريين أدب عربى ويظهر الروح الأوربى حين نجد التفكير العميق الخصب الدقيق الذى يلح فى التعمق ويغلو فى الدقة ويأبى أن يترك حقيقة من الحقائق عرضة للشك أو هدفا للغموض(١) ٠

وحوار « الحكيم » عامة هو ما ينفرد به « الحكيم » ومـــا جـدد به فى أدبنا العربى فقد استخدمه ليحل محل النكتة اللفظية فى المسرح الفكاهى ، ومحل اللفظ المثير فى المسرح الدرامى ، بل محل المفاجأة الحركية للاشخاص على المسرح ، حتى استطاع أن يجعل أدباء العربية يعترفون عن طريق مسرحه الذهنى بالحوار قالبا أدبيا ٠

ولقد أجرى توفيق الحكيم على لسان أهل الكهف حوارا فلسفيا شائقا رائعا ، فى قراءته لذة ومتعة ٠

وأما **لغة المسرحية** فقد كانت العربية الفصحى لأنهـا اللغـة الملائمة للمسرحية الاسطورية والتاريخية ، اذ لما كانت شخصيات المسرح الاسطورى ليست الا رموزا أو واجهات لأفكار الكاتب واتجاهاته الفنية والفلسفية فمن الطبيعى ألا ننطق هذه الشخصيات التى ينقصها دم الحياة ونبض الحركة بلغة حياتنا اليومية ٠ وشخصيات المسرح التاريخى اما أن تكون منتزعة من تاريخنا العربى القديم أو من تاريخ قديم لدولة تختلف عنا فى لغة التعبير ،وما دام الأمر كذلك فمن الطبيعى أيضا ألا ننطق شخصية عربية أو أجنبية قديمة باللغة التى نتحدث بها اليوم (٢) ٠

---

(١) طه حسين : فصول فى الأدب والنقد ٨٥ ، ٨٦ ٠
(٢) كلمات فى الأدب : أنور المعداوى ص ١٤٧ ٠

فاذا جاز فى مسرحنا الاجتماعى المعاصر أن ننطق شخصيات بلغة الحياة اليومية أى بالعامية فلا يجوز فى المسرح التاريخى الاسطورى أن ننطــق شخصياته الا بالفصحى ، وعلى ذلك جرى « الحكيم »فى لغة «أهل الكهف » ٠

البناء الفكرى :

يقوم البناء الفكرى فى المسرحية على أساس ارتباط مصير الانسان فى الحياة ارتباطا وثيقا بالزمان ، فهو ليس حرا فى التخلص من زمنه ولا يستطيع أن يعيش فى كل زمن ٠ ويقول الحكيم على لسان « مرنوش » : « ان الحياة المطلقة المجردة عن كل ماض وعن كل صلة وعن كل سبب هى أقل من العدم ، بل ليس هناك قط عدم ، ما العدم الا حياة مطلقة » (١)فالحياة الحقيقية هى التى تخضع للزمن ، وتتسم بالحركة والتغير ، وبذلك تتولد وتختلف العلاقات بين الناس ٠ والاحساس بالزمن يتم فى اليقظة وحين يحدث للانسان تغيير ما وهو يتحرك ، ولذلك لا يحس الانسان بالزمان وهو نائم ، ولذلك تستهل المسرحية بحوار بين الفتية أثر يقظتهم عما جرى لهم قبل النوم لأن لحظة ما قبل النوم ولحظة ما بعده مباشرة هما لحظة واحدة فى الذاكرة ، لسقوط زمن النوم لانعدام الحس به ٠

ولتصادم الزمان الماضى مع الزمان الحاضر يخرج « يلميخا » مـــن الكهف الى المدينة ليحضر طعاما لصاحبيه ويصادف فارسا يفزع لمرآه الغريب من شعر طويل ، وملابس رثة ، ونقود أثرية وتبدأ التعقيدات الدالة على تأثير الزمن فى الانسان ، وتأثر الانسان به ، وتتوالى المواقف والتعقيدات فى المسرحية بسبب هذا التأثر ، حتى يضطر أهل الكهف الى أن يعودوا من حيث أتوا ، ويفضلوا الموت على الحياة (٢) ٠

مصادر المسرحية :

لا شك أن مصادر توفيق الحكيم لمسرحيته « أهل الكهف » قد تنوعت فهى تشمل :

---

(١) المسرحية / الفصل الثالث ٠

(٢) راجع تفصيلا لذلك فى القصص الدينى فى مسرح الحكيم دكتور ابراهيم درديرى ص ٣٥/٤١ ٠

١ – القرآن الكريم (سورة الكهف من الآية ٩ الى الآية ٢٢) .
٢ – كتب التفسير والتاريخ الاسلامى .

٣ – التوراة ومصنفات التاريخ المسيحى والأناجيل الأربعة وقد أفاد من هذه فى المضمون الفكرى للمسرحية بما يشتمل عليه من أفكار ومعان وقيم .

٤ – الأساطير الفلسفية القديمة التى دارت حول فكرة البعث ، ومما أضافه الى المسرحية منها قصة « أوراشيما » الصياد الذى تزوج بنت ملك البحر وعاد الى أهله بعد أربعمائة عام .

ولكن مما لا شك فيه أن افادة توفيق الحكيم من القرآن الكريم والتفاسير المختلفة له كان أكبر ، فقد أفاد منها فى حكاية المسرحية ، وفى رسم هيكل الأحداث والشخوص ، وفى ختام المسرحية . ولقد التزم بما جاء فى القرآن الكريم عن فترة نومهم وانها ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا(١)،ولم يلتفت الى ما جاء فى غير القرآن من تحديد آخر لهذه الفترة ، والتزم بأول عدد ذكره القرآن لاهل الكهف عند سرده قصتهم ، وهو ما فى قوله تعالى : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم (٢) ، ولعله اختار هذا العدد لقلته ،حتى يكون أجذب لانتباه القارىء وتتبعه اياه وأيسر فى اجراء الحوار من الكاتب . وسمى المكان « بالرقيم» كما سماه القرآن ، وأقام البناء على أبطال القصة فى النهاية كما حدث فى القرآن . وقد استمد من تفسير « النسفى » أسماء أهل الكهف .

يقول يحيى حقى : « والواقع أن هذه القصة تعتبر تصفية معقولة متزنة لجماع أقوال المفسرين عن الكهف وساكنيه » (٣) .

ومع ذلك فقد خالف توفيق الحكيم فى قصته ما كان عليه شبه الاجماع من المفسرين من أن حالة أهل الكهف بعد أن استيقظوا لم تتغير عما كانوا عليه قبل نومهم ، أى أنهم سلموا من فعل الزمن أثناء نومهم لأن هذا أساس المعجزة ، ولذلك نص القرآن على أنهم عندما استيقظوا أخذوا يتساءلون :« كم

---

(١) الكهف : الآية ٢٥
(٢) الكهف : الآية ٢٢ .
(٣) خطوات فى النقد ص ٩٦ .

لبثتم » ؟ فهذا التساؤل يدل على أن حالتهم لم تتغير ، ولانهم أرسلوا بعد ذلك احدهم الى المدينة ليستبضع لهم طعاما ، ولم يكن منطقيا أن يخرج الرسول من الكهف وهو فى هيئة من نما شعره وطالت أظافره ثلثمـــائة سنين وازدادوا تسعا •

لقد خالف « الحكيم » ذلك وخرج على الاجماع ليحقق جزءا من الهدف الذى قصده ، من المسرحية ولأنه اعتمد على الآية التى سبقت يقظتهم والتى تقول : « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا » ، وما ذلك الرعب لمرآهم الا لأن تغيرا قد طرأ عليهم ، وأن حالتهم لم تكن طبيعية ، كما اعتمد على تفسير « الألوسى» بأنهم لم يدركوا التغير الذى حدث لهم ساعة استيقظوا « لأن الذى يستيقظ لا يشعر بنفسه وأنهم شعروا بأنفسهم بعد ذلك » • ولكن المنطق يميل على كل حال للتفسير الآخر (١) •

دوافع توفيق الحكيم الى كتابة مسرحية « أهل الكهف » :

نستطيع أن نرجع الأســـباب التى جعلت توفيق الحكيم يكتب تلـــك المسرحية الذهنية وهى : « أهل الكهف » الى ما يلى :

١ ــ أسباب ذاتية • وهى التى ترجع الى ذات الحكيم وطبيعته وثقافته •

٢ ــ ظروف محلية •

٣ ــ أحداث عالمية •

الأسباب الذاتية :

(أ) من الناحية النفسية ، فقد كان توفيق الحكيم يعيش حياة التجرد ، مما جعله ينظر الى العالم نظرة مجردة ترجع بالعالم المنظور الى ما وراء المنظور ومن هنا كانت الغيبية فى الاتجاه الذهنى عنده ، ومن هنا جاءت اليقظات الرمزية فى فنه ، وهى رؤيه مستنزلة من عالم المعانى (٢) ، كذلك يلاحظ أن مخيلة توفيق الحكيم دائما فى شرود ومثل هذا الشرود والتية يجعل من الصعوبة بمكان أن

---

(١) خطوات فى النقد ص ٩٥ ، ٩٦ •

(٢) اسماعيل أدهم وابراهيم ناجى : توفيق الحكيم ــ دار سعد مصر ــ القاهرة سنة ١٩٤٥ ص ١١٢/١١٤ •

يدرك الانسان الأشياء ادراكا صحيحا منطقيا سليما ، وتكون نتيجة ذلك أن يرى العقل الأشياء تتأرجح على خضم الرموز ، وعلى هذا الوجه يمكن تفسير المنحى الرمزى فى فن الأستاذ الحكيم (١) ، والحكيم بالاضافة الى ذلك ذو مزاج رقيق ، وتفكير مستأن ، وحب لتجريد المعانى والأفكار .

(ب) ومن ناحية الثقافة الخاصة ، فقد كان المام توفيق الحكيم واحاطته بالثقافة العربية عامة ، وبالقرآن الكريم وتفاسيره بصفة خاصة ، ثم كان لاتصاله بالثقافات الأجنبية عامة والثقافة الفرنسية خاصة فى فترة اقامته بفرنسا وتأثره بالجو الفرنسى الفنى والثقافى بها ، واطلاعه على المسرح الفلسفى . كان كل ذلك من العوامل المساعدة على ابراز موهبته الفنية ، وقدرته على اخراج أهل الكهف بالصورة التى خرجت بها .

٢ - الظروف المحلية :

فى العشرينات كانت مصر تقع تحت حكم الاحتلال ، وكان الاحتلال يجثم على صدر الأمة ، ولا يريد أن يتصور أن الشعب المصرى يستطيع أن يستقل بحكم نفسه ، فهو لا يعترف بشخصية مصر المستقلة ، ولذلك كان على الادب أن يثبت شخصية مصر بالبحث والتنقيب عن جذورها فى التاريخ ، وكان ذلك يقتضى الاهتمام بالماضى وبعثه ، ولكن حينما ظهر الاهتمام بالماضى واحيائه كضرورة لاثبات الذات المصرية ، ظهرت جماعة رأت ان احياء الماضى يعنى تقديسه وعدم المساس به وأخذه برمته دون الانتقاء منه بما يناسب الحياة الجديدة ، هؤلاء هم من كانوا يسمون من خصومهم بالسلفيين أو الرجعيين ، وكان طبيعيا أن يتصدى لهؤلاء من يرون أن بعث الماضى لا يعنى العودة بعجلة الحياة الى الوراء وانما يعنى الأخذ منه بالقدر الذى يجعل منه أساسا لحياة جديدة ، ومنطلقا الى آفاق أرحب وأوسع .

ومن هنا جاءت «أهل الكهف» لترد على السلفيين، وتعبر عن وجهة النظر التى ترى أن بعث الماضى يعنى اثبات الشخصية والاصالة ، ولكن لا يعنى الجمود عند القديم ، فهى تمثل أهم الماضى « أهل الكهف » وقد بعثوا فى مجتمع جديد ليعيشوا فيه بأفكارهم القديمة ومشاعرهم السالفة ، فلم يجدوا مكانهم فى هذا المجتمع الذى اعتبرهم أشباحا ، ولم يقبلهم كمعاصرين معايشين . اعتبرهم

---

(١) اسماعيل أدهم وابراهيم ناجى : توفيق الحكيم .
(٢) المصدر السابق ص ١٣٦ .

تراثا ينظر اليه باحترام وتبجيل دون أن يسمح له بأن يتدخل فى حياتهم بنظرته ومثله القديمة ، فيعرقل انطلاقة الحياة وتطورها .

يقول الحكيم : اذن لم يكن اختيار قصة أهل الكهف بالـــذات من بين قصص القرآن اختيارا عفويا غير ملتزم ، والا كانت قصة « يوسف» مثلا أكثر امتاعا ،ولكن الاختيار هنا لأهل الكهف كان اختيارا طبيعيا ومرتبطا بقصة،مجتمع فى حالة تجديد فكرى وتطور حضارى (١) .

يضاف الى ذلك محليا ان توفيق الحكيم أراد أن يدخل المسرحية قالبا أدبيا معترفا به فى الادب العربى . كما أن المسرح المصرى فى ذلك الوقت الذى كتب فيه الحكيم هذه المسرحية الذهنية كان فى حالة من الركود جعلت الحكيم يلجأ الى المسرحية التى تقرأ ولا تمثل ، ولان عامة الشعب المصرى فى ذلك التاريخ كان ينظر الى التشخيص أو التمثيل على أنه مهنة حقيرة .

٣ ـ الأحداث العالمية :

يقول توفيق الحكيم « ان الحرب ما يكاد يختفى شبحها ويسكن ثائرها وتنقشع غيومها حتى يطيب أحيانا ـ للفن أن ينطلق منجوالمسائل القومية الى جو المسائل الانسانيه . لهذا ما كادت الحرب العالميه الاولى تبعد شقتها وتهدأ ثائرتها حتى اتجهت الى مصدر آخر هو الانسان فى أفكاره الثابتة فى كل زمان كان ذلك منذ عام ١٩٢٨ ، حيث أخذت فى كتابة تمثيليات « أهل الكهف » و « شهر زاد» و « الخروج من الجنة » و نهر «الجنون» (٢) .

أهداف الحكيم فى أهل الكهف :

لقد تغيا الحكيم من كتابة أهل الكهف غايات كثيرة منها :

١ ـ غاية فكرية وهى : الرد على السلفيين الذين يريدون سيطرة الماضى على الحاضر ، ولذلك فهم يناهضون حركات التجديد فى الفكر والفن تحت شعار قداسة الماضى والحفاظ على التقاليد ، وقد وضح ذلك حين أعاد «الحكيم» أهل الكهف الى قبرهم كأنه يريد أن يقول لهم عودوا بقداستكم الى الماضى

---

(١) من حديث توفيق الحكيم فى الاهرام الصادر فى يوم ١٩٧٦/١/١٦ .

(٢) مقدمة مسرح المجتمع ط . الآداب .

ولنجعل عليكم هيكلا أو بناء نزوره من آن الى آخر بغية الذكرى والعبرة لا أكثر ولا أقل ، أما أن نتركك بيننا تعيشون وتؤثرون فى روابطنا وتقاليدنا فهو تعطيل لنا فى حاضرنا ومستقبلنا . فالمعنى الخفى الذى قصده هو شجب دعوة الرجعيين وأصحاب فكرة تقديس القديم لقدمه فحسب (١) .

٢ ـ غاية سياسية :

يقول د. لويس عوض : ربما كانت « أهل الكهف » مسرحية سياسية رمزية اتخذت من أشخاص «دقيانوس ومشلينيا ويميلخا ومرنوش وبريسكا » أقنعة تحكى قصتنا نحن المصريين ، ونومتنا فى كهف العصور الوسطى أربعة قرون تحت الأتراك العثمانيين ، ثم يقظتنا الحديثة المفاجئة لنجد أنفسنا فى عصر غير العصر ، ولنكتشف أن ما نحمله عملة قديمة غير متداول ، لا يشترى به زاد ولا يقتنى به عتاد ولا يقام به عماد . فالحكيم حين تصدى للمشاركة فى قيادة الفكر السياسى المصرى ، علم المثقفين أن يرفضوا بالعقل أيضا ما كانوا يرفضونه بالقلب كما بين لهم ماذا يرفضون .

٣ ـ غاية اجتماعية :

وهذا ما رآه بعض النقاد الأجانب فى المسرحية من النضاء على الوهم الذى طالما داعب الشرق والشرقيين وزين لهم أن يحيوا حياة كأنها الأساطير السرمدية ، حياة خارج حدود الزمان (٢) .

نقد : « أهل الكهف »

ويشمل ذلك بيـــان محاسنها أو ايجـــابياتها ، وبيان مساوئهـــا أو سلبياتها .

أولا : محاسنها وايجابياتها :

أغلب النقاد على أن توفيق الحكيم قد فتح بأهل الكهف التى نشرها سنة

---

(١) من حديث توفيق الحكيم للدكتور درديرى هامش ص ٢٦ من كتاب القصص الدينى .
(٢) المصدر السابق ص ٦٦ .

١٩٣٣ بابا جديدا فى الأدب المسرحى العربى هو أدب المسرح الذهنى(١) الذى يخاطب الشعور والعقل • يقول طه حسين انها « حادث ذو خطر لا أقول فى الأدب العربى العصرى وحده بل أقول فى الأدب العربى كله ••• وأى محب للأدب العربى لا يغتبط ولا يبتهج حين يستطيع أن يقول وهو واثق بما يقول: ان فنا جديدا قد نشأ فيه وأضيف اليه ، وان بابا جديدا قد فتـــح للكتاب وأصبحوا قادرين على أن يلجوه وينتهوا منه الى آمـــاد بعيدة رفيعة ؟! ثم يقول : « انها أول قصة وضعت فى الأدب العربى ، ويمكن أن تسمى قصه تمثيلية حقا ، ويمكن أن يقال انها أغنت الأدب العربى وأضافت ثروة لم تكن» • وقد أثنى كبار أدباء العربية فضلا عن ذلك على توفيق الحكيم حين أصدر هذه المسرحية من جوانب مختلفة : من حيث الموضوع ، ومن حيث طريقة البناء والتحليل والحوار ، ومن حيث ما تضمنه من مبادىء وحقائق ، ومن حيث غاياتها التى ترمى اليها •

فالموضوع شائق لا يمل ، وبناء المسرحية محكم دقيق ، وقد ارتبط الحكيم بالاطار العام للقصة المأثورة ، ثم أتى بتفصيلات ملأ بها هذا الاطار فأكسب القصة حيوية من جهة ، ودلالة من جهة أخرى بما ضمنها من آراء وفلسفة •

يقول طه حسين : الحكيم لم يخترع الموضوع وانمـــا « استكشفه » فموضوع القصة موجود فى القرآن الكريم فى آيات كريمة هى أعذب وأسمى ما يعرف من آيات البيان العربى ، وموضوع القصة معروف كذلك فى القصص المسيحية وانما بعث فى « أهل الكهف » حياة فيها قوة وخصب وفلسفة تمكنها من الاتصال بالحياة الانسانية العامة على اختلاف العصور والبيئات من نواح غير ما عنى بها القرآن والأحاديث المسيحية ، مدخلا عناصر جديدة لم تدخلها القصة القديمة ، أهمها عنصران : الأول عنصر الفلسفة ، والثـــانى عنصر الحب ، فقد صور القرآن والأحاديث المسيحية أشخاص القصـــة فى سذاجة ووداعة وايمان لا حد له ،ولكن الحكيم صورهم وقد تعقدت حياتهم فتعقدت عقولهم ، ففقد اثنان منهم السذاجة والوداعة والايمان المطلق ، ولم يحتفظ بهذه الخصال الا شخص واحد وهو «يمليخا» الراعى ، وبذلك استطاع

---

(١) يرى د• درديرى أن « مى زيادة » سبقت توفيق الحكيم فى المسرح الذهنى الرمزى بعشر سنوات بمسرحية قصيرة اسمتها « على الصدر الشفيق » وقد شارك توفيق الحكيم فى كتابة المسرحية الفكرية النثرية كل من فريد أبو حديد فى « عبد الشيطان » وزكى صالح فى « ايزيس » وبشر فارس فى « مفترق الطرق » وأحمد صبرى فى « كاهن آمون » •

أن يجعلهم أبطال قصة تمثيلية حديثة ، فهو قد خلق أشخاص القصة خلقا جديدا ، وأدار بينهم حوارا فلسفيا رائعا مثيرا ، به طائفة من الآراء والمذاهب تدور حول الزمن والبعث ، والعلاقة بين الانسان والزمن ، والحي والأحياء ، والقلب والعقل .

وقد صور الحب في القصة في غير تكلف ومن غير مصـــادمة للشعور الديني ، صوره حبا صوفيا طاهرا بريئا من كل شائبة .

وقد كان بارعا في تصوير شخصية المؤدب « غالياس » ليمثل به من يصطنعون العلم وهم أنصاف متعلمين ، ومن يريدون أن يكونوا فلاسفة وهم سذج ، أو يريدون أن يكونوا أذكياء وفيهم غفلة ، أو يتظاهرون بايثار الايمان على الحياة وهم يحبون الحياة ويحرصون عليها »(١) .

ولكن اذا كان موضوع المسرحية معروفا ــ كما يقول طه حسين ــ وهو كذلك بالفعل ، فهل يطعن ذلك في حد ذاته في اختيار توفيق الحكيم له ؟ من وجهة نظر البعض أن الأمر على العكس من ذلك ، يقول جوته « لو بدأت حياتي الفنية مرة أخرى لما شغلت نفسي بتأليف قصة من ذهني ، ولاقتصرت دائما على اعادة كتابة القصص القديمة مع تموينها بمعان جديدة حيوية» ، ويقول يحيى حقي تعقيبا على هذا القول ، وتأييدا له : يذكرنا ذلك بالتراجيديا اليونانية في أدوارها فقد كان أغلبها يدور حول موضوع قديم تعرفه النظارة قبل أن يرفع الستار كقصة « أو ديب الملك » التي انتفع بها أكثر من مؤلف واحد»(٢)

وقد كان تحليل توفيق الحكيم في المسرحية عظيما ودقيقا وذكيـــا ، انظر « لبريسكا » كيف شعرت بأنها ماتت عندما حييت فيها جدتها بعودة «شلينيا ... انه توفيق حكيم ! ولا عجب فللاستاذ من اسـمه نصيب كبير (٣) .

وأما أسلوب الكاتب في المسرحية فهو الأسلوب الجديد الخالي ممـا كان يشوب الأساليب التي سبقته وعاصرته من اللفظية والخطابية والاهتمام

---

(١) طه حسين بتصرف فصول في الادب والنقد من ٨٦/٨٩ .
(٢) خطوات في النقد ٩٤ ، ٩٥ .
(٣) يحيى حقي : المصدر السابق ص ٩٩ .

بالرصانة والازدواج وقوة جرس الكلمات ٠٠ الخ ، فجاءت عبارته مركزة محددة موجهة مبلغة بمعنى الرمز وتعدد مستويات المعانى ٠

ويدافع يحيى حقى عن الحكيم حين يتهمه المازنى وطه حسين وغيرهما بالوقوع فى الأغلاط القبيحة التى يمس بعضها جوهر اللغة ، ويمس بعضها النحو والصرف ، ويمس بعضها الأسلوب وتركيب الجمل (١) فيقول «أى كتابة فى مصر لا تخلو من الغلط ؟! لم يدع الاستاذ الحكيم أنه نحوى أو صرفى أو أن قصته حجة فى الأسلوب ، وكل ما أراه هو أن يكون طبيعيا غير متصنع ولا متكلف ٠ ان الاسلوب هو حجة وجود بعض الكتاب ٠ أما الفكرة فليست بذات بال ! » ٠

ونحن وان كنا نقبل كلام يحيى حقى فى دفاعه من حيث أهمية الفكرة وان الأستاذ الحكيم قد أعطانا بالمسرحية فكرة أو أفكارا نقدرها ونعتز بها ، الا أننا لا نقبل دفاعه عنه بالنسبة للاسلوب ، لأن العمل الأدبى لا يقوم الا على الدعامتين الفكرة والأسلوب ، ولولا الاسلوب لما كان هناك فرق بين الأعمال الأدبية والكتابات العلمية ٠

ولقد وفق الحكيم فى حواره غاية التوفيق ، ولعله لا نظير « للحكيم » فى ادارة الحوار ، وفى اصطناع الفلسفى منه ، أو مزج الفلسفة به ، ولكن يعاب عليه أن شغفه الشديد بالجدل العقلى أدى به أحيانا الى التعقيد وتغليف المعانى بحيث يصعب ادراكها أو يتضارب تفسيرها فى بعض الأحيان ، والى الاستطراد فى أسلوبه كالاستشهاد بأسطورة الصياد اليابانى (٢) والاطناب فى الحديث عن رؤية الفراعنة للبعث ، وصراع مصر القديمة مع الزمن ، وحكاية ارث بريسكا لصاليب جدتها ، فهذه التفاصيل لا تخدم تطوير الفكر أو تساعد على كشف جوانب أساسية فى الشخصيات وان حققت وظيفـــة فى الترغيب والتشويق ٠

وأما المبادىء أو الحقائق التى عاونت المسرحية على تثبيتها واجلائها فمنها:

١ ـ ضرورة الاحساس بالانتماء ، فنحن لا نعيش الا لأن بيننا وبين الناس علاقات ووشائج متينة ٠ يقول « مرنوش » عن زوجته وولده « انى أحيا بهما ولهما » ٠

---

(١) أنظر فصول فى الادب والنقد لطه حسين ص ٨٩ ٠

(٢) المسرحية : الفصل الرابع ٠

٢ ـ ان الحياة لا تقوم بغير الحب : فالحب هو الذى يقف فى وجه كل شىء ويعلو على كل شىء : يقول « مرنوش» : « ان الحب يقتلع كل شىء حتى الصداقة وحتى الايمان » وقد اعتنق «مرنوش » المسيحية لا لايمان بها بل حبا لزوجته التى كانت مسيحية ، واعتنقت «بريسكا الاولى» المسيحية مع أن أباها «دقيانوس» كان أكبر عدو للمسيحية ، وما ذاك الا للحب الذى ربط بينها وبين «مشلينيا » الذى كان مسيحيا فاعتنقت المسيحية من أجله ٠ ولم يقم « مشلينيا » وزنا لفارق الزمان بينه وبين «بريسكا الثانية » ، ما دام قلبه متفتحا للحب ، وحب « يمليخا » لغنمه جعله يأمل فى الحياة ، ولكن ضعف هذا الحب لانه قائم على علاقة مادية واهية هى قطيع الغنم ٠٠٠ ضعفه بالنسبة الى حب « مرنوش » لزوجته وابنه ، وبالنسبة الى حب « مشلينيا لبريسكا » جعله يفقد الأمل فى الحياة سريعا ، وحب «مرنوش» لزوجته وابنه جعله يبقى على أمل فى الحياة أطول من « يمليخا » ، ولكن عدم وجود بديل لحبه لزوجته وابنه «كمشلينيا» جعله لا يستمر على أمل فى البقاء « كمشلينيا» أما « مشلينيا » فقد طال أكثر منهم جميعا ، لأنه عاش على أمل حب « بريسكا الاولى » ثم لانه عاش على أمل حب « بريسكا الثانية » وهو لم يحبها كالأولى لأنها لا تملك ما كانت تملكه الأولى من معان روحانية خاصة ، ولأنها لا تقبل حبه لها لفارق الزمان بينهما ، ولأنه لا يحبها وانما يحب « بريسكا » الأولى فيها ٠٠٠ حتى اذا فقد الأمل فى الحب فقد الأمل فى الحياة ولحق بصاحبيه فى الكهف ليقضى فيه نحبه ٠

ثم ان تسلل حب «ميشلينيا» الى قلب « بريسكا الثانية » بعد أن لحق بصاحبيه فى الكهف بفترة ، واحساسها بأن الحياة فقدت كل معنى فيها بفقده هو الذى دفعها الى أن تدفن نفسها حية معه وتنتحر وتقول : انهض يا «مشلينيا» ٠٠ أنى منذ حادثتك أول مرة كأنى أحبك منذ ثلثمائة عام ، وسوف أحبك الى آلاف الاعوام ، وهو الذى يدفعها الى أن تلح على مؤدبها « غالياس» الا يذكرها للناس بعد موتها حين يقص قصتها على أنها قديسة ، وانما على أنها امرأة أحبت ٠

وأما غايات المسرحية التى ترمى اليها فكما ذكرنا من قبل أن المسرحية قد تغيت غايات نبيلة فكرية وسياسية واجتماعية فلم تكتب عبثا بل لم تكتب لاهداف ليست بذات بال وانما كتبت لأهداف نبيلة عظيمة ٠

ثانيا : مساوئها وسلبياتها :

لعل أول ما يوجه الى المسرحية من النقد والمآخذ ـ انها مسرحية فكرية ذهنية تصلح للقراءة ولا تصلح للتمثيل ٠ وقد اعترف بذلك الحكيم نفسه

حين قال : ان ملعب هذا المسرح العقل والفكر لا المنصة ، وانه لم يفكر عند كتابة مثل هذه المسرحية فى ظهورها على المسرح الحقيقى ، معللا بظروفها التاريخية التى ألفت فيها ، فقد عاد من أوربا فوجد أن المسارح تختفى من القاهرة ، مثل مسرح « عكاشة» ومسرح« منيرة المهدية» ، فألفلمسرح غير موجود ، أى أن تمثيلها من فرقة معينة وعلى مسرح معين فى تاريخ معين لم يعد أمرا محددا واضحا أمامه وكان همه أن يفصل مسرحياته عن المسرح ويلحقها بالأدب ، يقول : «لأن الأدب فى بلادنا أكثر استقرارا أو استمرارا أو ارتفاعا دفعت بمسرحياتى الى المطبعة متجاهلا المسرح الذى كان وقتئذ فى حالة احتضار حقيقى ، وكان لى ما أردت من ايجاد جمهور المسرحية المطبوعة يطالعها فى كتاب باعتبارها أثرا فنيا مستقلا بذاته » .

ويقول : « انعماد التكتيك الذى اتبعته فى مسرحياتى الذهنية الست هو صراع الافكار ، وحوار العقول ، وروح الشعر فى لغة المسرحية ، أكثر من الاعتماد على المواقف الحركية ، والمفاجآت المسرحية ، وان كنت لم أغفل هذه المفاجآت للتشويق والقضاء على الملل عند المتفرجين » (١) .

يقول يحيى حقى « أن الاستاذ كتب أهل الكهف للقراءة لا للتمثيل ، ولو كتبت للمسرح لما أمكن الحكم عليها الا اذا مثلت ، ولم تجد هذه القصة للآن مسرحا فى مصر ، ان قوة المسرحية مهما أفصحت حبيسة لا يظهرها الا محيط يفهمها ، من ممثل يستطيع أن يؤديها الأداء الذى تستحقه ، ونظارة فى مكنتها ان تجاوب على ايماءاتها واشاراتها ، هل يستطيع موليير أو « شكسبير» أو «أبسن» أن يعيشوا من غير مسرح أو ممثلين ؟! »

ويعلل يحيى حقى هذا الاتجاه الذهنى الصالح للقراءة لا للتمثيل فى أدب الحكيم وغيره من الأدباء المصريين ــ الى أن الأدب فى مصر فردى لا يصدر عن روح عامة قوية تعطى لتأخذ ، وتوحى لتستمتع ، والذنب ليس على مصر ، وانما على الكتاب الذين همهم أن يعلموها قبل أن يفهموها وعلى احساسهم

---

(١) من حديث الاستاذ الحكيم ليوسف الشارونى (دراسات فى الادب المعاصر ص ١٩) ومن حديث له للدكتور درديرى (القصص الدينى هامش ص ٤٥) ومن مقال له بمجلة الادب يوليو سنة ٥٣ ص ٢٠

الضعيف المنقطع عن روح مصر ولذلك فان هذا الأدب الفردى لا يفترق عن الصرخة تدوى فى واد (١) ٠

ولكن الحكيم مع اعترافه بهذا العيب ، ومع وضوحه جيدا فى أهل الكهف وغيرها من المسرحيات الذهنية ــ يحاول بعد ذلك الدفاع عن نفسه ولصق العيب بجمهورنا العربى وبيئتنا العربية ، فيقول : ان اختلاف البيئات فى مجتمع واحد وعصر واحد قد يجعل للاثر الواحد حياتين مختلفتين ، ويضرب مثلا على ذلك بتجربته فى أهل الكهف وغيرها من مسرحياته الذهنية ، وانها قد استطاعت أن تحيا بعض الحياة فى الكتب ، ولكنها لم تستطع الحياة حتى الآن فوق مسرحنا العربى ، مما جعله يعتقد انها لم تكتب الا لتنشر فى كتب ، الى أن نقلت الى لغات أجنبية ، واطلع على بعض تقارير متحمسة لبعض رجال المسرح الأوربى عن صلاحيتها هناك للحياة والتمثيل ٠٠ فعرف ان اختلاف البيئة الثقافية الشديد لدينا بين قراء الكتب الأدبية ، ورواد المسارح العامة ، هو الذى يجعل لمثل هذه الأعمال هاتين الحياتين المختلفتين (٢) ٠

ويقول د ٠ درديرى : لا يمنع فشل الفرقة القومية فى تمثيل أهل الكهف عام ١٩٣٥ م من صلاحيتها للتمثيل اذا ما توافرت الامكانيات الفنية المعينة للمسرح الذى تمثل عليه ، وربما لو عرفت مصر مسارح الجيب آنذاك لقدر لأهل الكهف أن تنجح كعمل مسرحى يتذوقه جمهور خاص لا جمهور عام(٣) ٠

ولكن د ٠ مندور مؤمنا أن جودة المسرحية تتوقف على صلاحيتها للتمثيل ــ لا كما يقول الحكيم ــ ومؤمنا بأن «أهل الكهف» مسرحية ذهنية ضعيفة الحركة يقول : « والظاهر أن توفيق الحكيم نفسه قد أخذ يغير من اتجاهه الرمزى الذهنى فى معالجة الأساطير ، محاولا أن يقترب بها من الواقع الانسانى وأن يوفر لها من الحركة المسرحية ما يضمن لها شيئا من النجاح عند تمثيلها على المسرح : وهذا ما يمكن أن نستخلصه بسهولة من آخر مسرحية اسطورية كتبها وهى مسرحية «ايزيس» (٤) ٠ فقد خلص هذه الاسطورة من الخوارق ليدنو بها من الواقع الانسانى ، كما أدخل المفاجأة الرومانسية فى خاتمة المسرحية لينفث فيها الحركة وينجو من الرتابة ٠

---

(١) خطوات فى النقد ص ٩٧ ٠
(٢) فن الأدب لتوفيق الحكيم ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ ٠
(٣) القصص الدينى ص ٢٦ ، ٢٧ ٠
(٤) المسرح ص ١١٥ ، ١١٦ ٠

ويرى يحيى حقى أن « الحكيم» نتيجة لأنه كتب المسرحية للقراءة لا للتمثيل لم يعدد فى أولها أشخاص القصة . ولو فعل لاستغنى عن تقديم «مرنوش» الى القراء فى أول سطر منها بقوله « وهو أحد الرجلين» .

ويفسر طه حسين كيف أن المسرحية للقراءة لا للتمثيل فيقول ان الحكيم قد غلبت عليه الفلسفة والشعر حتى نسى أن للنظارة حقوقا يجب أن تراعى . فأطال فى بعض المواضع وكان يجب أن يوجز ، وفصل وكان يجب أن يجمل، وعمق وكان يجب أن يكتفى بالاشارة وان من الكثير على النظارة ان يستمعوا القصة الطويلة جدا التى تقصها « بريسك » على « غالياس» وهى تودعــــه وقد اعتزمت أن تموت فى الكهف مع عشيقها القديس ، (١) .

وان اقصوصة او أسطورة الصياد اليابانى التى أوردها الحكيم على أنها مشبهة لقصة أهل الكهف ــ لتعد حشوا فى المسرحية لا داعى له ، وقد ذكر مندور أنه لولا حشو المسرحية بهذه الاسطورة لجاز أن نعتبرها فى مستوى المسرحيات العالمية الكبرى (٢) ، والى جانب طول المناقشات الفلسفية فى المسرحية وغلبة الأسلوب الشعرى الذى أخرجها من مسرحية التمثيل الى مسرحية القراءة فان فلسفة المسرحية كان يشوبها الغموض والابهام ولم يكن مذهب « الحكيم » الفلسفى فيها واضحا بحال ، فالقارىء يخرج من القصـــة وهو لا يدرى هل الحياة موجودة ، أو هى وهم أو هى حلم ؟ وهل الزمن حقيقة أو هو اختراع أوجده عقل الانسان ؟ ولا يعرف الوجود فليس فى عالمنـــا حقيقة واحدة يمكن اتخاذها نقطة ثابتة فى رسم خريطة أفقنا .

ويرى « يحيى حقى » أن مذهب المؤلف هو التصوف الذى يرمى الى القول بأن كل موجود هو من الله ، والله دائم ،فكل ما هو موجود دائم ، وأن الزمن احدى خصائص عقل الانسان . ثم يرى «حقى» أنه لامكان لنزعات التصوف فى مصر ، لانها ميدان قتال مادى ، وهو يستلزمنا أقصى الجهاد ، وأنه قد يكون مفهوما فى البلاد القوية كانجلترا وفرنسا التى من ورائهاالجيوش والأساطيل ، أما فى مصر الضعيفة فهو غير مفهوم ، فقصة أهل الكهف خطرة على شبابنا اذ ليس كل القراء فى ثقافة المؤلف والنظرة السطحية للتصوف اما أن تشجع على التكاسل والهروب من المسئولية ، واما أن تخلق الانانية التى

---

(١) فصول فى الأدب والنقد ص ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) المسرح ص ١١٤ .

تقطع صلة الانسان بمن حوله ، على حين أنه لا خلاص لمصر الا على يد مجهود مشترك يبذل فيه كل شخص أقصى مالديه دون نظر الى منفعته المباشرة (١) ويعزو طه حسين عدم وضوح مذهب توفيق الحكيم الفلسفى فى أهل الكهف الى تواضعه وعدم تعصبه ، فهو لا يريد أن يفرض عليك مذهبا بعينه ، وانما يريدان يثير فى نفسك التفكيرفىطائفة من الآراء والمذاهبلتفكر فيها ، وتلتمس لها الحل لعلك تظفر به (٢) .

ويقول د. درديرى : أن من نقدوا المسرحية ووسموها بالغموضوالابهام لم يتفحصوا مضمونها وأفكارها ، ولعل الباعث الأول على الغموض والابهام كان طبيعة صراع الانسان مع الزمن كى تستمر الحياة ، وقدشكل «الحكيم» الزمن تشكيلا دراميا بحيث تناوله من عدة أوجه، وعلىأكثر منمستوى.وعرض لكل وجه ومستوى من نواح مختلفة حسب طريقته فى تفتيت الفكرة الواحدة الى جزئيات . ويرى أن من طبيعة العمل الفنى الايماء والايهام ، لا التقرير والتحقيق ، يضاف الى ذلك أن الأعمال الفنية الرمزية باطنها أعمق من ظاهرها (٢) .

ويعاب « الحكيم» فى أهل الكهف كذلك من ناحية عدم واقعية حواره ، ففى حواره نوع من المقابلات الذهنية أو اللفظية الذكية البعيدة عن الحوار الواقعى ، ولكن الحكيم يدافع عن ذلك قائلا ان حوار شكسبير مثلا لا يجرى على منطق الحديث الواقعى بين الناس فى الحياة ..

وقد عيب على توفيق الحكيم الانهزامية أو السلبية التى تبدو واضحة فى مواقف متعددة فى المسرحية وفى بعض حوارها ، فالحكيم يجعل أهل الكهف يلوذون بالفرار ويعودون الى الكهف بعد أن لم يستطيعوا التكيف مع المجتمع الجديد ، ولقد أنهى الصراع الرئيسى الذى أقامه بين القلب والزمن ، قلب « بريسكا » والزمن الذى قضاه مشلينيا فى الكهف .. انهاه بما أراده من انتصار للقلب على الزمن ولكن بانتحار بريسكا بأن دفنت نفسها حية مع مشلينيا ليتم الاتحاد العاطفى فى عالم الموت بعد أن عجزت يد الحياة عن

.(١) خطوات فى النقد ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢) فصول فى الأدب والنقد ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٣) القصص الدينى ص ٦٣ .

صنع هذه المعجزة ، وهذا ليس انتصارا ولكنه صورة مجسمة للهزيمة (١) ٠

وتظهر سلبية الحوار فى مثل اشارة الحكيم الى اخفاق مصر فى مقاومة الزمن وانتقام التاريخ (١) ٠

ويرد د ٠ عز الدين اسماعيل ود٠ دردیری على هؤلاء الذين يتهمون المسرحية بالسلبية فيرى د ٠ عز الدين أن هدف دعوة الحكيم منالمسرحية هو القضاء على الوهم الذى طالما داعب خيال الشرق ، وزين له أنه يمكن أن يحيا كأنها الاسطورة السرمدية ، حياة خارج حدود الزمان والواقع ٠٠ فالنظرالى عودة أهل الكهف الى الكهف على أنه هروب وانهزام أمام الحياة ، واننا فى حاجة الى الأدب الدافع المثير ، نظر قائم على غير أساس ، لأن أول ما يعترض تحقيق هذه الغاية من أهل الكهف هو أن تسقط المأساة أو تفقد القصـــة عنصر المأساة فيها ، فهذه النهاية بعودة أهل الكهف انما كانت لكى تكتمل المأساة وليس هروبا ٠

ومما يعاب على « الحكيم » أن بعض ما أجراه من فلسفة على لسان بعض الشخصيات لا يتفق مع دور تلك الشخصية ، كالفلسفة التى أجراها على لسان « يمليخا» الراعى ، وما ذاك الا لأن المؤلف لم يستطع أن يبتعد بثقافته عن الشخصيات فطغى تفكيره على تفكير الشخصيات الروائية وسلوكها ،وتكلم من فم كل بطل من الابطال ، وهذا تصنع وتكلف ٠

كذلك فان مما يعاب على « الحكيم » تلك الشتائم الكثيرة المتواليةالتى جعل « بريسكا » تهديها الى مؤدبها « غالياس» كلما كلمته وما كان يحق لها أن تفعل ذلك ٠

ولعل أخطر ما وجه الى توفيق الحكيم فى « أهل الكهف » مـــا قاله « حبيب الزحلاوى » من أن قصته منقولة من قصة انجليزية فى أواخر القرن الماضى هى قصة «الالتفات الى الوراء» وقد ذكر أن الحكيم قد قلد فى عشرة مواقف فى أهل الكهف مواقف أبطال تلك القصة تقليدا تاما فى التناسق

---

(١) د ٠ عبد القادر القط فى «الأدب المصرى المعاصر » ، وراجع فى الحديث عن سلبية المسرحية : «فى الثقافة المصرية» لعبد العظيم أنيس ومحمود العالم ، وتوفيق الحكيم ،اسماعيل ادهم ٠

(٢) المسرحية : الفصل الرابع ٠

والحوار والسياق ، وفى صيغ الكلام وفى التفكير الآلى وفى العودة بالذاكرة الى ماضيهم البعيد ، والى مقارنة حاضرهم بمستقبلهم ، والى الموازنة بين ما هم عليه وبما سيئولون اليه ، والى عودتهم فى النهاية الى الكهف ليدركهم الموت طبقا لرغبتهم ، فهل من المعقول أن تكون كل هذه المواقف جاءت مصادفة؟! (١) ٠

الا أن جماعة من النقاد «كالعقاد» و «تيمور» تصدوا للدفاع عن الحكيم، فذكر «تيمور» أن تشابه الموضوع لا يمحو اصالة المبدع الذى يعالجه معالجة جديدة ، ومن وجهة نظر مختلفة ، وبفلسفة مميزة ٠ وذكر «العقاد» انه موجود الاتفاق مع القصة الاجنبية يوجد الاختلاف ، وقد نجم الاتفاق عن وحدة الموضوع. وأن الحكيم قد «مسرح» الموضوع ولم يقتبس لان قصة أهل الكهف معروفة ٠

هذا وقد أعطى الحكيم دلالة رمزية لابطال قصته «فمشلينيا» يمثل العاطفة ، و«مرنوش» يمثل العقل أوالفكر ، و «يمليخا» يمثل الفطرة ٠

ويفند د ـ هدارة كذلك مزاعم القائلين بسرقة «الحكيم» للمسرحية لان لها أصلا فى الآداب الاوربية اقتبسها منه ، فيقول : ان ما فعله « الحكيم » بها نوع من الاحتذاء Imitation لا السرقة Plagiarism ، وفرق بين اللفظين ، اذ السرقة تكون باتحاد الفنانين فى فكرة واحدة ، وألفاظ وعبارات مشتركة بعينها ، ويكون أحد الفنانين سابقا على الآخر ، والا لم تكن سرقة ٠

ويقول : « ولم يسلم شاعر أو كاتب فى أى أدب من الآداب وفى أى زمن من الاتهام بالسرقة ومن ذلك مثلا ما ادعاه « بيرسى آلن » من أن رواية « ماكبث» لشكسبير مسروقة من Arden Fevrsham والذى دعاه الى هـــذا الاعتقاد الخاطىء أن كلا من الروايتين تدور حول جريمة واحدة » ٠

ثم يقول مفسرا معنى الاحتذاء ، « فالاحتذاء أو التحوير الفنى هو أساس الفنون جميعا ، ولا يتنافى مع وجود أصالة فنية أو شخصية أدبية لها كيانها ومميزاتها الفنية ، فقد كان موليير يقول : «انى آخذ المعنى الحسن حيث أجده» ومع ذلك فلم يكن الا موليير واحد ٠ والابتكار فى العمل الأدبى ليس معناه « اختراع شىء من الهواء ، ولكن معناه وجود مادة تتفاعل مع شخصية قوية فتتمثل خلقا جديدا ، فلولا الأساطير القديمة لما وجد كتاب المسرحية اليونانية،

---

(١) أنظر : شيوخ الأدب الحديث ص ١٦٨ ، ١٧٨ ٠

ولولا الاغانى الشعبية لما كتب الموسيقار العظيم «باخ» موسيقاه الرائعة . يقول جوته : « فى كل فن توجد صلة نسب ، فانك اذا رأيت فنانا كبيرا فلابد انه قد وعى أحسن ما عند أسلافه ، وأن هذا هو الذى جعله عظيما ، فالرجال أمثال روفائيل لا ينبثقون من الأرض وانما يأخذون أصلهم من القديم ، فالفن كما يقول « اليوت » لا يتغير ، ولكن مادته هى التى لا يمكن أن تبقى كما هى ، فلا ينال من فن الحكيم مشابهة عارضة بينه وبين أثر أوربى أو أكثر ، والاحتذاء الفنى اذا كان يأخذ به « الحكيم » حق طبيعى له كما هو لكل فنان . وينتهى الدكتور هداره فى رده مهاجما نقاد الحكيم فى مسرحيته ومشبها اياهم ببعض أسلافنا من النقاد ، فيذكر أن ذلك منهم عود الى جهل بعض النقـــاد العرب الاقدمين لطبيعة الفن والخلق الفنى ووصفهم جميع الشعراء والكتـــاب بالسرقة(١) .

ونقول : انه بالرغم من كل ما وجه أو يوجه الى أهل الكهف لتوفيق الحكيم من نقد فانها لا شك تعد معلما بارزا من معالم التطور الفنى ، ولذلك فقدأقبل الغرب على ترجمتها الى لغات مختلفة ، وقد مثلت على مسارح أجنبية ، ومنح الحكيم من أجلها وأمثالها أنواط الشرف باعتباره كاتبا مسرحيا .

ولذلك نقول ـ كما قال طه حسين ـ انه « يجب أن تقرأها ، فما ينبغى لمثقف فى الادب العربى أن يجهل هذا الأثر الادبى البديع (٢) .

---

(١) مقالات النقد والأدب ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٢) فصول فى الأدب والنقد ص ٨٩ .

أهم مراجع البحث

١ – توفيق الحكيم – أهل الكهف – الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣

٢ – توفيق الحكيم – مسرح المجتمع (المقدمة) · ط · الآداب ·

٣ – توفيق الحكيم – مقال منشور بجريدة الاهرام ١٦/١/١٩٧٦ ·

٤ – د· ابراهيم درديرى : القصص الدينى فى مسرح الحكيم – دار الشعب ط ٢ سنة ١٩٧٥ ·

٥ – طه حسين · فصول فى الأدب والنقد – دار المعـــارف بمصر ط : سنة ١٩٦٩ ·

٦ – يحيى حقى : خطوات فى النقد – مكتبة دار العروبة ·

٧ – د · عز الدين اسماعيل : قضايا الانسان فى الأدب المسرحى المعاصر · من سلسلة الألف كتاب ع ٤١٢ – دار الفكر العربى ·

٨ – أنور المعداوى : كلمات فى الأدب – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت سنة ١٩٦٦ ·

٩ – · محمد مندور : المسرح ، دار المعارف ١٩٥٩ ·

١٠ – · محمد مندور : فى المسرح المصرى المعاصر ، دار نهضة مصر ١٩٧١ ·

١١ – · محمد مصطفى هدارة : مقالات فى النقد الأدبى · دار القلم ١٩٦٤ ·

١٢ – د · عبد القادر القط · الأدب المصرى المعاصر ·

١٣ – عبد العظيم أمين ومحمود العالم : فى الثقافة المصرية ·

١٤ – اسماعيل أدهم : فى الثقافة المصرية ·

١٥ – يوسف الشارونى : دراسات فى الادب المعاصر ·

١٦ – مجلة الآداب يوليو ١٩٥٣ ·

١٧ – الموسوعة العربية الميسرة ١٩٦٥ · اشراف محمد شفيق غربال ·

١٨ – اسماعيل أدهـــم وابراهيم ناجى : توفيق الحكيم · دار نهضة مصر القاهرة ١٩٤٥ ·

كفاح طيبة لنجيب محفوظ

عرض وتحليل ونقد

التاريخ فى قصة كفاح طيبة :

قصة كفاح طيبة من القصص التاريخى ، وقصة التاريخ فيها هى قصة تحرير مصر من الهكسوس وهم أولئك الرعاة الغزاة الذين اجتاحوا البلاد حوالى سنة ١٧٣٠ ق.م أيام الأسرة ١٢ ، فآذوا المصريين فى دينهم ، وأذلوهم وظلوا يحكمون البلاد قرنا ونصف قرن ، ثم ثار عليهم صعيدالوادى فأجلوهم عن مصر ، وشردوهم فى مشارق الارض ، وكان بطل التحرير الذى تم على يديه هزيمة الهكسوس وجلاؤهم عن مصر كلها هو أحمس الأول الذى قاد الكفاح بنجاح حتى النصر .

موجز القصة :

يقسم نجيب محفوظ القصة الى ثلاثة أقسام ، كل قسم هو مرحلة تاريخية مستقلة، وكل مرحلة تفضى الىما بعدها لا من الناحية التاريخية فحسب ،ولكن من ناحية الأحداث والتفاصيل :

أولا : فيحكى فى القسم الأول قصة انتصار الهكسوس على مصر العليا وموت فرعون الأب (سيكننرع) .

وفى هذا القسم يصفوصول رسول الهكسوس الى سيكننرع أمير طيبة ليطالبه بمطالب مجحفة تمس عقيدته وكرامته، فيرفضها ،ويستعد للقتال معلنا نفسه فرعون مصر كلها ، ولكنه يقتل فى الميدان وهو يحارب الأعداء ، وتسقط طيبة فى يد الهكسوس بزعامة أميرهم أبو فيس وتهرب أسرة « سيكننرع » الى بلاد النوبة جنوبا ، ويبقى بعض السراة والقادة متخفين وأسرهم فى الأحياء الفقيرة من المدينة طيبة .

ثانيا : ويحكى فى القسم الثانى من القصة محاولة الامير أحمس الصغير ابن كاموس بن سيكننرع للتمهيد لمعركة التحرير الكبرى بالتخفى فى زى تاجر يدعى «اسفينيس» ويدخل طيبة مدعيا انه جاء يهدى سادة مصر تحفا مما يوجد فى بلاد النوبة فى مقابل أخذ ما يفيض عن حاجة مصر من الغلال ، ويتملق الجند والضباط والحكام ، ويرشوهم بالمجوهرات ، ويتعلق قلبه بابنة الحاكم أبو فيس واسمها « امنريدس » ، وينقذ زوجة قائد أبيه المصريةالتى كانت من بين من تخفوا بعد الهزيمة فى الأحياء الفقيرة ، ينقذها من السجن لأنها لم تستجب لنزوة أحد قادة الهكسوس ، فيدفع عنها مبلغا من المال

لم تكن لتستطيع دفعه ، ويأخذ ابنها معه وكان متحمسا للتحرير ، ليكون أحد قادة جيش التحرير ، ثم يحتك به أحد قادة الهكسوس ويبارزه ويغلبه أحمس ويكاد أتبـــاعه يقتلونه بعـــد قتله اياه ، لولا تدخـــل « امنريدس » التى أحبته وأعجبتها شجاعته ومبارزته · ويعود الى النوبة وقد أخذ مؤنا من مصر ، وأطلع على حالها ، ونشر دعوته للجهاد بين أهلهـــا من المصريين المخلصين سرا ·

ثالثا : ويحكى فى القسم الثالث قصة الهجوم على الهكسوس لتحرير مصر منهم بقيادة « كاموس » بن سيكننرع ووالد أحمس ، ويذكر أنه قتل فى معركة التحرير كما قتل والده سيكننرع من قبله فى معركة رد العدوان ، ويتولى ابنه « أحمس » الملك والقيادة من بعده ، وتشتعل المعارك برا وبحرا . ويفتح أحمس المدن مدينة أثر مدينة ثم يفتح طيبـــة ، ويأسر « امنريدس » محبوبته وابنة ملك الرعاة ، وتتكشف هى انه ذلك الذى تظاهر من قبل بأنه التاجر « اسفينيس » ، ويهرب أبوها أبو فيس ومن معه من القادة والجنود ، وتطارده قوات أحمس ، ثم يطلب الصلح وتسليمه أسراه بشرط تسليم أحمس لابنته ، فيقبل أحمس ذلك حقنا للدماء ، وكسبا للنصر بغير جهد ، ولكنـه بأسف لارتحال محبوبته ، ويدعو أهله من بلاد النوبة للعودة ، ويدخل وأهله طيبة ، ويعودون الى قصرهم القديم مرة أخـــرى بعـــد أن تحررت مصر من مستعمريها من الهكسوس ، وعادت كما كانت مستقلة ·

(نقد كفاح طيبة)

تبدو على معالم قصة « كفاح طيبة » سمات مختلفة بعضها من عوامل التجميل التى أبدتها فى زينتها ، ورفعت من شـــأنها ، وبعضها من عوامل التقبيح التى أخفتت من نورها وبهائها ، ونقصت من قيمتها · وقد كانت بعض تلك السمات خليطا من الحسن والقبح فيها · واليك هذه السمات أو محاسن القصة ومساوئها ·

١ ــ **التنمية للاحداث فى اتجاه واحد** مطرد بما يعبر عن طابعهاالتاريخى العام ، واذا حاولت البحث عن المفاجآت خلال سيرك الطويل فى القصة فلن تجدها لآن كل حدث فيها كان يمهد للآخر بحيث أصبح القارىء على بينة مما سيحدث ، واذا كانت هناك فى القصة مفاجآت فقد كانت لشخصيات القصة لا لقرائها ·

٢ ـ **التحديد الزمنى للأحداث** ويبدو ذلك فى الاشارة الى فصول السنة أحيانا ، بل الى الشهور بل الأيام ، بل الى فترات اليوم الواحد من نهار أو ليل أو ظهر أو عصر ٠٠وهذا التحديد فى المعمار الفنى لنجيب محفوظ مسألة مقصودة للتعبير عن تنظيم داخلى فى العلاقة بين الأشياء والأحداث والأشخاص ٠ انه تعبير عن نظام شامل وعن حتمية فى علاقة الفرد بالطبيعة وبالمجتمع ٠

٣ ـ **بروز عنصر المصادفة** كطابع أساسى فى بناء الأحداث وتطورها ٠ والمصادفة هنا ليست خروجا على النظام ولا تخلخلا أو ركاكة فى بناء الرواية ، انما هى تعبير عن حتمية وقدرية ، تعبير عن ضرورة أعمق من تدبير الانسان الفرد وأبعد من ادراكه المباشر ، فهى وان تكن مناقضة لمنطق الفرد فانها موافقة لمنطق أرقى من منطق الفرد ٠

وهكذا تجد أن أخطر الأحداث التى تبنى هيكل القصة وتطورها تتم بمصادفات خارقة ، كمصادفة حضور الأميرة وانقاذها « أحمس » فى الوقت الذى كاد أعوان القائد الذى صرعه أن يقتلوه ٠

والمصادفة فى أدب نجيب محفوظ توحى بالثنائية الخصبة فى أدبه وفكره بين الفن والقانون العلمى أو بين الايمان والعلم المادى ٠

٤ ـ **معظم شخصيات القصة شخصيات عامة** أو أطر ونماذج ، ولهذا لا نكاد نحس بحوارها الباطن وانما يغلب على حوارها الطابع العقلى التجريدى الزاخر بالمعلومات أكثر مماهو زاخر بالحيوية والخصوبة النفسية والوجدانية ٠

ولأنها كانت شخصيات عظيمة فقد كانت ذات صفات جامدة لا تتغير ، فشخصيات الملوك مثل « سيكننرع » و « كاموس » و « أحمس » عنيدة صلبة لا تلين ولا تحيد عن أهدافها ، وان كان الكاتب قد أضفى على شخصية «أحمس» لمسة انسانية حين جعله يحب وتتصارع فى نفسه عاطفتا الحب والواجب ٠ وشخصيات كبار أفراد الأسرة المالكة المصرية أنماط للشجاعة والولاء للوطن والتعاطف مع الشعب ، وشخصيات القادة وكبار رجال الدولة والدين نماذج

للاخلاص للملك ، والتضحية والفداء للوطن ، لا تخرج الى حيز الانسانية الرحب بما فيه من صراعات وتناقضات ٠

وعلى العكس من ذلك شخصيات ملك الهكسوس وقادته وكبار رجاله ، فهي نماذج للخسة والخبث والتهور والطمع .

٥ ـ **استخدام اللغة الفصيحة الرصينة :** فالطابع التاريخي قد انعكس على البناء اللغوى للقصة فى السرد والحوار ، فجعلها تغلب عليها الفخـــامة والرصانة والأبهة .

وقد كانت لغة القصة فصيحة فصاحة بلغت بها أحيانا حد الثقـــل والغرابة ، وقد أثقلها نجيب محفوظ بالمعلومات والأفكار حتى لم تعد فى بعض المواقف معبرة عن الشخصية أو الموقف أو الوجدان ، كما فى موقف التفاخر المتبادل بين أحمس وبين محبوبته امنريدس بعد انتصاره على أبيها وأهلهـــا من الهكسوس وأسرها .

٦ ـ **اجادة الوصف والمبالغة فيه :** فقد حاول الكاتب بذلك أن يهرب من سيطرة المادة التاريخية على فنه ، فاسهب فى وصف المنـــاظر الطبيعية المصرية والمعارك الحربية ، حتى كاد القارىء أن ينسى قيمة الشكل الفنى من أثر استمتاعه بالمناظر الجميلة التى كاد يراها بعينى رأسه لا بعين خياله.

ولقد كان يكرر فى أوصاف المعارك بين المصريين والهكسوس حتى لتحس انك تستطيع أن تتجاوز الكثير منها دون أن تفقد الترابط بين الأحداث .

وقد كان هذا الوصف المسهب المقصود منه ازالة جفاف المادة التاريخية كان يمكن أن يفقد الرواية تماسكها ، لولا أن هذا التماسك ظل باقيا الى حد ما مع ذلك ، نتيجة لأن خط الصراع بين المصريين والهكسوس كان هو الخط الأساسى الذى عمل على تماسك البناء بمساعدة الخط الانسانى الآخر الذى تركز فى قصة الحب بين أحمس وامنريدس .

وقد استخدم الكاتب « الوصف الايحائى » فى بعض المواقف ، وهو الذى يهدف الى تأكيد بعض المعانى فى ذهن القارىء كتأكيد معانى الكبرياء والاحساس بالمجد القديم لدى المصريين بما يدفعهم الى مزيد من البذل والتضحية ، وكتأكيد معانى الشر والرذيلة لدى الأعداء ، ومن أمثلة ذلك :

« يقول الحاجب : « أنظر ... أترى طيبة ؟ هذه طيبة .

فنظروا جميعا الى حيث يشير الرجل ، فرأوا مدينة كبيرة يحيط بها سور

عظيم بدت خلفه رؤوس المسلات عالية كأنها عمد ترفع القبة السماوية، ورئيت من ناحيتها الشمالية جدران معبد آمون الشاهقة ، رب الجنود المصريين فما وقعت العين فيها الا على مارد عظيم يتعالى الى السماء ٠٠ » ٠

ومن مقومات التصوير لـــدى نجيب محفوظ تشبيهاته الرائعة التى يبثها فى ثنايا وصفه وكلامه وحوار قصته ٠

تقول « امنريدس » « لأحمس » ردا على أنه غير قادر على اكتساب حبها ولا على دفعه عنه : « أنت ملك يا مولاى ، والملوك أعظم النـــاس متعة ، وأثقلهم واجبا ، كالشجرة الباسقة أوفى من الحشائش نصيبا من شعاع الشمس ، ونسائم الهواء ، وأكثر تعرضا لثورة الريح واقتلاع الزوابع » ٠

ومن مقومات الوصف والتصوير لديه استخدامه لفن التورية ، كما يظهر فى القصص الغربى وذلك بتوسيع معانى اللفظ ، أو السلوك ليؤدى معنى ظاهرا ، وآخر خفيا فى الوقت نفسه ، كاستخدامه للقلب الزمردى الذى أهداه « أحمس » « لأبوفيس » ليؤدى معنى ماديا لدى ملك الرعاة ومعنى عاطفيـــا لدى أحمس والأميرة ، وكموقف زوجة أحمس وهى تواسيه بعد الانتصار اذ تظن آلامه جسيمة فى الوقت الذى هو فيه فى الحقيقة معـــذب القلب لفراقه محبوبته ٠

٧ ــ **دقة الحكم والرأى** : فقد كان فى المواقف المختلفة سياسية وعسكرية يلقى بالرأى ، أو يصدر الحكم على لسان شخصيات القصة كأقوم ما يكون الرأى وأعدل ما يكون الحكم ، وماذاك الا لثقافته السياسية والعسكرية التى تشبه أن تكون ثقافة العلماء السياسيين ســياسيا أو القـــادة العسكريين عسكريا ٠

٨ ــ **ظهور شخصية الكاتب نتيجة** لعدم حياديته ، فقد كان نجيب محفوظ يعبر من خلال ذاته لا من خلال الواقع والشخصيات ، لانه غلب مصريته على فنه فجعل المصريين نماذج للشجاعة والولاء والوقار ، وجعل أعداءهم أنماطا للتهور والاندفاع وسوء الخلق ، والفن انما يقوم بدور الاقتناع عن الطريق غير المباشر بالتلميح والايحاء ، لا عن طريق التصريح والمباشرة ٠

يقول نجيب محفوظ فى وصفه للقائد « بيبى » وهو يعلن عن مطالب ملك الهكسوس مخاطبا ملك مصر : « مولاى ٠٠٠ اننى لعلى يقين من أنه لا يراد بهذه

المطالب سوى عجم عودنا ، وترويضنا على الذل والخضوع ، وهل من دليل وراء أن يطلب ذلك الهمجى الهابط وادينا من أقاصى الصحارى القاحلة الى مليكنا أن يخلع تاجه ويعبد رب الشمس ويذبح الأفراس المقدحة ؟! » .

وهكذا يخرج الحوار الى المباشرة ، وعدم انصاف الجانب الآخر ، وتصوير الأعداء على أنهم وحوش ضارية ، والانسان بطبيعته خليط من الخير والشر ، وان تغلب جانب على آخر فانه لا يغلبه كلية ، فكان عليه لكى يكون حياديا الا ينفى عن الهكسوس كل خير ، والا يلصق بهم كل سوء ، ولكنه أراد أن يكون مصريا قبل أن يكون فنانا وكان مصدر مثاليته حنينه الشديد لأمجاد الماضى ، لأن الواقع الذى كتب فيه قصته كان مريرا ، فمصر كانت واقعة بين براثن ملك فاسق ، واستعمار غاشم ، ولهذا غلبت النزعة الرومانسية المثالية على أدبه فى تلك المرحلة من كتاباته القصصية على النزعة الواقعية الموضوعية .

ومع أن ذلك كان هو اسلوب الكاتب فى معالجة القصة ، الا أنه أضفى بعض اللمسات الانسانية على القصة بقصة الحب التى صنعها بين « أحمس » وأميرة الهكسوس « امنريدس » ، محاولا انقاذ القصة من السرد المباشر المجرد للاحداث وتحويلها من مجرد عرض تاريخى الى عمل فنى ولو الى حد ما .

وقد بلغ نجيب محفوظ بقصة الحب هذه قمة التطور الدرامى ، فكان فيها انسانا أولا ، وفنانا ثانيا ، ومصريا ثالثا ، ونسى فيها انحيازه للمصريين ، محلقا بنا فى أجواء رومانسية من الحب المثالى الطـــاهر ، ومرتفعا بنا فوق مستوى الاجناس والشعوب .

يقول أحمس لامنريدس : « عما قليل يفرق بيننا البين . ولن نبالى ذلك ، ولكنى سأذكر دائما انك كنت معى قطة غليظة » ، فلاح فى عينها الحزن وافتر ثغرها عن ابتسامة خفيفة ، وقالت « أيها الملك انك لا تعرف عنـــا الا القليل ... نحن قوم الموت أروح لنفوسهم من الهوان » . فقال : « لم أرد بك الهوان قط ، ولكن غرنى الأمل ادلالا بمنزلة كنت أظنها لى عندك » .

فقالت بصوت خافت : « أليس من الهوان أن افتح ذراعى لآسرى وعدو أبى ؟ » .

فقال بمرارة : « ان الحب لا يعرف هذا المنطق » .

وهكذا نعيش مع نجيب محفوظ فى كفاح طيبة ساعات طيبـــة ممتعة بفنه العظيم الذى وان شابته بعض شوائب الا أنه على ذلك فن لا شـــك عظيم .

اهم مراجع البحث

١ ـ رواية كفاح طيبة ـ لنجيب محفوظ ـ مكتبة مصر ١٩٧٦ م ٠

٢ ـ الفن القصصى فى الأدب المصرى الحديث ٠
للدكتور محمود حامد شوكت ـ دار الفكر العربى ١٩٥٦

٣ ـ قضية الشكل عند نجيب محفوظ
لنبيل راغب ـ المؤسسة المصرية للتاليف والنشر ١٩٦٧ ٠

٤ ـ من فنون الأدب العربى ـ للدكتور مصطفى الشكعة ـ الانجلو المصرية ١٩٥٧ ٠

٥ ـ تأملات فى عالم نجيب محفوظ لمحمود أمين العالم ـ الهيئة المصرية العامة ١٩٧٠ ٠

٦ ـ دراسات فى الأدب والنقد المعاصر ـ ليوسف الشارونى ـ المؤسسة المصرية ١ ٩٦٤٠

٧ ـ تجارب فى الأدب والنقد ـ د٠ شكرى محمد عياد ـ دار الكاتب العربى ١٩٦٧ ٠

٨ ـ دراسات فى الرواية المصرية ـ د٠ على الراعى ـ المؤسسة المصرية ١٩٦٤ ٠

٩ ـ كلمات فى الأدب ـ لأنور المعداوى ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ١٩٦٦ ٠

مرآة الإسلام لطه حسين

تلخيص وتعليق

كان الدكتور طه حسين ــ رحمه الله ــ من العلمـــاء الأعلام فى عصرنا الحديث الذين كشفوا عن جوهر الاسلام الأصيل خلال عصر قوته وجدته ، بما أنتجه من مؤلفات اسلامية مثل : « على هامش السيرة » فى أجزائه الثلاثة و « الوعد الحق » و « الفتنة الكبرى » بجزئيه : عثمان وعلى وبنوه ، «والشيخان ابو بكر وعمر » • و « مرآة الاسلام » وهو أشد كتبه اقترابا من سيرة الرسول الكريم وتجلية لجوهر الاسلام الحنيف •

وأسلوب طه حسين فى «مرآة الاسلام » وحسن عرضه لاحداثه وأفكاره لا يجعل من هذا الكتاب كتابا فى تاريخ الدعوة الاسلامية والسيرة النبوية فحسب ، بل يجعل منه كذلك كتابا فى الأدب وحسن التفكير ودقتهوتسلسله. ولهذا فالكتاب ثروة تاريخية دينية أدبية لا ينبغى أن يحرم منها طلاب العلم فى معاهد العلم المختلفة •

أقسام الكتاب وفصوله :

وينقسم الكتاب الى قسمين ، أو الى كتابين ، كما سماهما المؤلف • ثم ينقسم كل كتاب الى فصول لا يسميها المؤلف ، وانما يعطى لكل فصل منها رقما مسلسلا • وبعض الفصول يطول كثيرا ، وبعضها يقصر كثيرا ، وبعضها يتوسط بين الطول والقصر حسب مقتضيات الاحوال وحسب المسألة التى يبحثها طولا أو قصرا •

ويبلغ الكتاب الأول نحو مائة وثمانى عشرة صفحة من القطع المتوسط(١) ويبدأ بمقدمة عن البيئة العربية التى ظهر فيها الاسلام وأسرة النبى ، والتى قضى فيها النبى حياته حتى توفى ، وتولى الخلافة من بعده أبو بكر الصديق •

وأما الكتاب الثانى فيبلغ نحو مائة وست وأربعين صفحة تبدأ ببيان أهم مصدرين للاسلام وهما القرآن والسنة ، ثم تتحدث عن سيرة المسلمين فى عهد النبى والخلفاء الراشدين حيث تطبق الشريعة الاسلامية ، ويعيش المسلمون أحرارا متساوين كما لم يكونوا فى أى عصر أو مجتمع آخر • ثم تتحدث عن اهتزاز المبادىء الاسلامية خلال الفتنة الكبرى ، وظهور الأحزاب

---

(١) حسب الطبعة الرابعة لمرآة الاسلام ــ نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩ •

السياسية والفرق الكلامية والصراع بينها ، وظهور المذاهب الفقهية ، وغلبة العناصر الأجنبية على الحكم ، وسيادة التخلف والجمود ، وشيوع الفساد والخراب فى أنحاء البلاد • ثم تتحدث عن قيام النهضة الحديثة عقب الغزو الاستعمارى الغربى للعالم العربى طمعا فى خيراته • وكان رد الفعل أن يستيقظ المسلمون فعملوا على تدارك ما فاتهم بوسيلتين : احياء تراثهم القديم . والاستفادة من أسباب رقى الدول الغازية المستعمرة •

هذه هى محتويات الكتابين بايجاز ، ولما كان الكتاب الأول قد عرض للسيرة النبوية العطرة عرضا صحيحا ميسرا مسلسلا ، فقد رأيت أن أقدمه للقارىء ملخصا فلعله أن يشتهى الرجوع بعد هذا الملخص الى أصله فى الكتاب ، ثم بعد الكتاب الى أصوله فى كتب السير المطولة ، فالحديث عن سيرة الرسول حديث عذب شهى مستطاب •

الكتاب الأول

الأمة العربية فى تخلف حضارى خلال القرن السادس الميلادى :

كانت الأمة العربية فى تخلف ثقافى وحضارى خلال منتصف القرن السادس الميلادى فى أحوالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والفكرية اذا قيست بالأمم المجاورة لها ، فسكان اليمن جنوبا كانوا أهل حضارة سادت ثم بادت ، وكانوا على شىء من الاستقرار لما كان لهم من قليل زراعة وتجارة أدبا الى شىء من الرخاء لا ينعم بمثله بقية العرب • أما فى قلب الجزيرة فكانت « نجد » تعيش حياة بدوية قاسية تسودها العصبية والحروب المتصلة ، ولم تكن مكة والحجاز بأحسن حالا من نجد ، ولكن كانت بالحجاز قرى ينعم أهلها بالاستقرار ، فلأهل مكة تجارتهم يرحلون بسببها رحلة الشتاء الى الجنوب ، ورحلة الصيف الى الشمال ، وعندهم الكعبة بحجاليها سائر العرب فيعظمونهم لتعظيمها • ولأهل الطائف الى جوارهم شىء من الزراعة وغرس الحدائق ، وأما المدينة فلها زراعتها اليسيرة ، وعربها قبيلتان يمنيتان هما الاوس والخزرج فى صدام مستمر • ولكل منهما حلفاؤها من اليهود يشاركونها سلما وحربا •

وفى تلك الفترة كان العرب قد جاوزوا جزيرتهم فبلغوا العراق شرقا ، والشام شمالا ، ولكنهم كانوا خاضعين للفرس فى الشرق ، وللروم فى

الشمال ، ودخل معظمهم المسيحية ، وان لم يتركوا تقاليدهم البدوية ، وهكذا بقيت الوثنية غالبة على العرب داخل جزيرتهم وخارجها ٠

كانت الوثنية هي الغالبة على العرب :

انتشرت المسيحية بين عرب العراق والجزيرة والشام ، وعرفت في مكة والطائف واليمن ، ولكن المتدينين بها لم يدركوا منها الا صـــورا أقرب الى الوثنية ، وكذلك عرفت اليهودية في اليمن ويثرب ، ولكن احبار اليهود كانوا جهالا ٠ وعرفت المجوسية الفارسية بين القبائل المجاورة للفرس ٠

وفي الشعر الجاهلي وصف لأطراف من حضارات هذه البلاد يدل على أن العرب كانوا على صلة بالعالم من حولهم ، فالعرب لم يكونوا في عزلة وكل ما في الأمر أن قلب الجزيرة وشمالها لم يخضعوا لسلطان أمة متحضرة فبقوا في عيشة غليظة ، وسيطرت عليهم جاهليتهم بكل ما فيها من الآثام والمنكرات ٠

وثنية العرب ساذجة :

ويصف المؤلف وثنية العرب بالسذاجة فلم تفكر فيهـــا عقولهم ، ولم تمتزج بقلوبهم ، وانما كانت أخلاطا ورثوها من آبائهم ٠

والعرب الوثنيون لم ينكروا الله : كما يرى المؤلف أن هؤلاء الوثنيين لم ينكروا أن للسموات والأرض خالقا هو الله ، كما تشير الى ذلك الآية القرآنية : « ولئن سألتم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » وقول الشاعر « لبيد » في الجاهلية « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » ، ولكن علمهم بالله كان ساذجا فاتخذوا الهة قريبة منهم يحسونها لمسا وبصرا وهي الأصنام ٠

ويرى المؤلف أن أهل مكة لم يكونوا صـــادقين في وثنيتهم ، بل انهم كانوا يتجرون بالدين كما كانوا يتجرون بالسلع التجارية ، لأنهم كانوا أذكياء خبراء بشئون الحياة داخل جزيرتهم وخارجها ، مطلعين على حضارات الأمم من حولهم ، ولذلك لم يكونوا يؤمنون بهذه السخافات التي يؤمن بهـــا العرب الوثنيون ٠

قريش اهل تجارة :

ويرى أن قريشا لم يكونوا أصحاب دين وايمان ، بل أصحاب تجارة ، فهم يظهرون الوثنية ويحببونها الى العرب ترغيبا لهم في الحـــج ، ليحققوا

منافعهم من التجارة ، فقد كان هدف مكة التجارة والمـــال ، ولذلك كانت تتحاشى الحروب ، لأنها تعوق التجارة ، وتضيع المال ، وقد عقدت « حلف الفضول » الذى شهده النبى مع أعمامه قبل البعثة وأثنى عليه بعدها · وقد تعاهدت فيه بطون قريش على مناصرة المظلوم فى مكة ، وأخذ الحـــق له من ظالمه ليطمئن الغرباء والضعفاء الى الأمن والعدل فيها ، فيقبلون عليها حجاجا ومتجرين · وكان الحكم فى مكة لشيوخ البطون القرشية ·

عبد المطلب جد النبى :

وكان أحد هؤلاء الشيوخ عبد المطلب بن هاشم جد النبى عليه السلام يصفه المؤلف بالوقار والتمسك حتى حفر بئرا خاصمته قريش فى ملكيتها فجعلها للكعبة ، ورأى خلال هذه الخصومة أنه وحيد لا نصير له من الولد ، فنذر لئن تم له عشرة أولاد ليقربن أحدهم ، وأراد بعد تمامهم عشرةأن يقرب أحدهم وهو عبد الله (أبو النبى) فاستبشعت قريش عمله وأقنعته أن يقرع بين ابنه وعشرة من الابل فجعل كلما أقرع خرج السهم على ابنه حتى بلغت الابل مائة ، فخرج السهم عليها ثلاث مرات فقربها للالهة فنجا ولده · وعندئذ زوجه من آمنة (أم النبى) ، ثم أرسله فى تجارته مع قومه الى الشام ، فذهب ولم يعد اذ أدركه الموت فى يثرب عند أخوال أبيه فيها خلال عودته من الشام·

وفى تلك الأيام طمع الاحباش الذين كانوا يحكمون اليمن فى مكة فحاولوا فتحها وهدم كعبتها ليصدوا العرب عنها ويتملكوا تجارتها وينشروا المسيحية بها وبسائر بـــلاد العرب ، ولكنهم فشلوا وعادوا خائبين دون مقاومة من قريش ، لأن عبد المطلب نصح قريشا بتخلية مكة ، وأنزل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل · وسموا بأصحاب الفيل وسمى العام عام الفيل لأن الجيش الذى هزم كان يضم مجموعة من الفيلة ·

مولد النبى ورضاعته ونشأته ثم زواجه :

ويقص المؤلف قصة مولد محمد ، ورضاعه فى بنى سعد ، ونشأته فى مكة فى رعاية جده عبد المطلب ، ووفاة أمه وهو فى السادسة ، حين أرادت أن تزور وتزيره معها قبر أبيه فى المدينة ، فماتت ودفنت فى طريق عودتها الى مكة · وفى نحو السابعة فقد جده ، فكفله عمه أبو طالب · وحـــين كان فى الثانية عشرة خرج أبو طالب الى الشام وخرج معه محمد وعادا سويا · وحين كان فى الرابعة عشرة من عمره شهد مع أعمامه « حرب الفجار » بين قريش وقيس فكان ينبل على أعمامه ·

وكان محمد لفقر عمه أبى طالب يرعى الغنم لقومه ، ولكنه لما شب سلك سبيل التجارة كأبيه وأعمامه وجده وسائر قبيلته . وربطه عمه فى التجارة بسيدة ثرية من شريفات قريش هى « خديجة بنت خويلد » فاتجر لها فى مالها فرأت من أمانته ورجولته وبراعته ما يسر زواجهما فعاش فى سعة كما قال تعالى « ووجدك عائلا فأغنى » ويسر الله له منها من الذرية مازاد غبطته .

نزول الوحى :

وكلما ازداد محمد نضجا ازداد ميلا الى العزلة . وكان يلجأ الى غار حراء بجوار مكة فيخلو فيه الأيام والليالى ، حتى جاءه الوحى بقول ربه « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » وفزع لنزول الوحى عليه فجأة ، ولكن خديجة هدأته وأخذته الى ابن عمها المستنير « ورقة بن نوفل » الذى أخبر بأن ما رآه هو الناموس الذى أنزله الله على «موسى» وتمنى أن يكون حيا حين يخرجه قومه بسبب دعوته اياهم الى الايمان .

ثم نزل الوحى بعد ذلك على الرسول يدعوه أن ينذر قومه ويصبر على اذاهم ، فأنذر قومه ، ثم عمم دعوته ، ولم يستجب له الا أقلهم ، وآذوه ومن تبعه فصبروا .

واستمر نزول الوحى بالقرآن ، وكان الرسول يتلو القرآن على الناس من قريش ، فمنهم من آمن ومنهم من لم يؤمن ، وكانوا يبهرون بالقرآن لفظا ومعنى ونظما ، ولكنهم لا يؤمنون به حسدا أو كبرا أو استمساكا بما توارثوه من الشرك ، وعرضوا على الرسول الملك والمال فرفض ، فلجأوا الى عمه ليمنعه عن دعوته ، فكان جوابه لعمه التصميم على الاستمرار فى دعوته ، فأخذوا فى ايذائه وايذاء أصحابه بالقول والقطيعة والضرب بل والقتل أحيانا . ثم قاطعت قريش بنى هاشم أهل النبى ، وصبرت بنو هاشم ثلاثة أعوام حتى رفعت قريش عنهم الحصار .

ويمتحن النبى بعد ذلك بموت زوجه خديجة وعمه أبى طالب ، ويشتد البلاء على المسلمين ، فيأذن لهم الرسول بالهجرة الى الحبشة ، ويبقى النبى ومن أبى فراقه من أصحابه بمكة يتحملون الأذى صابرين .

وفى موسم الحج يعرض النبى الاسلام على قبائل العرب ، فيجد فى أحد المواسم من أهم يثرب ميلا اليه • وفى العام التالى يبايعونه على أن يؤووه ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم • ويأذن لأصحابه فى الهجرة الى المدينــة فيهاجرون اليها جماعات • وقبل أن يهاجر عليه السلام اليها يتفق كفار مكة على أن يقوم نفر من أحياء قريش بقتله فيضيع دمه فى القبائل • وآذنه ربه بمكرهم ، فخرج مستخفيا مع أبى بكر الى غار حراء ، ومن بعده الى المدينة التى استقبلت النبى أحسن استقبال • ومن ذلك اليوم فتحت أمام الدعوة طريق جديدة •

الدعوة فى مكة بعد نزول الوحى :

بقى النبى فى مكة قبل هجرته ثلاثة عشر عاما قضاها فى الدعوة الى الاسلام والصبر على أذى المشركين ، كان يدعو الى التوحيد والعدل والمساواة • وينهى عن الشرك والظلم ، وينبىء بالقيامة وبقربها ويهول من شأنها وما يحدث حين قيامها فى الكائنات والناس ، وما يكون بعدها من ثواب للمؤمنين وعقاب للكافرين •

وكان يتحدى المشركين المستهزئين بالقرآن أن يأتوا بمثله أو بأقصر سورة منه ، وكان عجزهم وهم الفصحاء دليلا على أنه كلام الله ، وكان البعض ممن تسحرهم روعة القرآن يؤمن به كعمر بن الخطاب •

وكان المشركون يسرفون فى مطالب سخيفة كأن يفجر النبى ينبوعا ، أو ينشىء جنة ، أو يسقط السماء كسفا ، أو يأتى بالله والملائكة ، أو ترقى فى السماء ، أو يحيى العظام ، وكان النبى يخوفهم العذاب العــاجل فى الدنيا والآجل فى الآخرة كغيرهم ممن كذبوا الرسل قبله ، فقد تعذبوا فى الدنيا بالطوفان ، أو الريح ، أو الصيحة ، أو المطر ، أو الرجفة وبقى لهم عذاب النار فى الآخرة •

وأسرى بالنبى من المسجد الحرام فى مكة الى المسجد الأقصى فى الشام ليلا ، وعاد فى ليلته مع أنها رحلة أيام طويلة • وما زال النبى يدعو المشركين الى الايمان وما يستتبعه من العدل والاحسان والانتهاء عن المآثم • حتى اذن الله له فى الهجرة فهاجر بعد أن أدى حق الله مع قومه ولم يؤمن له منهم الا القليل •

الرسول فى يثرب وفتح مكة :

وبلغ الرسول يثرب حيث المسلمون الذين آمنوا قبل الهجرة ، والمشركون الذين آمن بعضهم بعد الهجرة ونافق البعض منهم ، وحيث اليهود الــذين ظلوا على ما ورثوه من دينهم ، فآخى بين المهاجرين والانصار وتحالف مع اليهود ، واتخذ أول مسجد فى الاسلام يقيم فيه الصلاة ويعلم فيه المسلمين أمور دينهم ، ولم يكشف للمنافقين سترهم واكتفى بظاهر اسلامهم · ولكنه أحس انه بين عدوين : اليهود فى المدينة الذين لم يحافظوا على العهد معــه وأضمروا الغدر به ، وقريش فى مكة التى تركها حانقة عليه خائفة منــه أن ينتقم منها ، فهى تحرض عليه العرب وتغرى به اليهود ، وتؤذى أصحابه ممن لم يهاجروا معه · فلا يكاد العام الثانى من الهجرة ينتهى حتى تقوم الحرب فى « بدر » وكفار قريش كثرة والنبى وأصحابه قلة ، وينتصر النبى وتهزم قريش ، وتعود قريش بعد عام لتثأر لنفسها فى أحد ، ولولا أن بعض المسلمين خالفوا أمر النبى وطمعوا فى الغنيمة لانتصر المسلمون ، ولكنهم هزموا بسبب المخالفة والطمع ، وقتل كثير من الصحابة ، وجرح الرسول الكريم ، وطمعت قريش فى انتصار آخر أكبر فحالفت القبائل واليهود وكانت « غزوة الأحزاب » بعد أكثر من عام ، وحفر النبى خندقا ليمنع المشركين من دخول المدينة ، وأقبلت قريش فى جموع كثــيرة ، ونقضت « بنو قريظة » عهدهم ، وأضمر المنافقون خذلانهم للمسلمين ، هنالك ابتلى المؤمنون · وقد أتاح الله للمسلمين فرصة اسلام واحد من المشركين قام بدور أوقــع به بين الجماعات المحتشدة لقتال المسلمين ، كما أتاح الله للمسلمين فرصة ريح عاصفة أطفأت نيران الكفار واقتلعت خيــامهم ، فرحلوا متفرقين ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال · ولم تحــاول قريش بعد هذه الهزيمة معاودة غزو المدينة وان استمرت تحرض القبائل على النبى وأصحابه ·

ولما كان العــام السادس للهجرة ، خرج النبى وأصحابه الى مكـة للاعتمار ، وعند الحديبة عقد صلح الحديبة على أن يدخــل النبى وأصـحابه مكة فى العام القادم للاعتمار ثلاثة أيام لا يحملون الا السيوف فى أغمادها ، وعقدت الهدنة فى يوم الحديبة بين النبى وقريش عشر سنين على وقف الحرب وأن يدخل فى عقد النبى أو قريش من يشاء وأن من جاء لاجئا الى النبى رده ومن جاء لاجئــا الى قريش لم ترده ، وأمن المسلمون مكر قريش بالهــدنة وتفرغوا لمواجهة من لم يحالف قريشا من العرب ، ووعدهم الله فتحا قريبــا ومغانم كثيرة يأخذونها ·

النبى مع اليهود فى يثرب وما جاورها :

كان مكر اليهود شديدا ، وكانوا يغرون المنافقين فى المدينة بالنفاق ، وكانوا يتيهون بدينهم الذى يعظمه المسلمون على المسلمين ، وكانوا أصحاب جدال وعناد وجراة على الحق يحرفون التوراة ، يسألون النبى فاذا أجابهم بالوحى ماروا فى ذلك ، لا يفون بالعهد ، وهم « بنو النضير » بقتل النبى والغدر به بمحاولة القاء صخرة عليه لولا أن أنبأه الله بعزمهم ، فأجلاهم النبى عن المدينة ولم يأخذ شيئا منهم ٠ وأهان « بنو قينقـــاع » امرأة مسلمة ثم قتلوا مسلما ، فأجلاهم النبى كذلك وأخذ سلاحهم ٠ وغدر « بنو قريظة » يوم الأحزاب وانضموا للأعداء فقتل المقاتلون وغنمت الأموال وسبيت الذرارى والنساء ٠ وغزا النبى من بقى منهم فى خيبر ووادى القرى بعد يوم الحديبية وغنم أرضهم وأعملهم فيها بنصف خراجها وللمسلمين النصف الآخر ٠

وقد أنزل الله فى اليهود قرآنا كثيرا قص فيه سابقتهم فى الكفر به والتنكر لرسله ، وعقاب الله لهم عـلى ذلك ٠ وأحيـــانا يرد عـلى افترائهم ويصفهم بأنهم يحرفون كلام الله وأنهم منافقون وأنهم يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، وانه نجاهم من آل فرعون ، واغرق آل فرعون ، ولكنهم جحدوا هذه النعمة وعبدوا العجل ٠ كما يصفهم بالجبن وأنهم حين طلب منهم موسى أن يدخلوا الأرض المقدسة التى اختصهم الله بها قالوا له « اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون » ويكذبون على الله بزعمهم ان النار لن تمسهم الا أياما معلومات ، وانهم لم يتمنوا الموت لما قدموا من سيئات ، وأنهم أحرص الناس على حياة ، وأن أحدهم يود لو يعمر ألف سنة ٠

وكان أول رد عملى عليهم حين حولت قبلة المسلمين فى الصلاة عن بيت المقدس الى المسجد الحرام ٠ وكان النبى يتمنى ذلك لما وصفوا به ٠ وبعد خلو المدينة منهم وفتح خيبر ووادى القرى ، خف الجدل بين النبى وبينهم وقل ذكرهم فى القرآن لانقطاع الحاجة اليه ٠

النبى مع النصارى :

لم يكن أمر النصارى ظاهرا فى جزيرة العرب وانما كانت لهم جماعة فى نجران ، وأفراد متفرقون فى أنحاء الجزيرة ، فلم يكد الجدال بينهم وبين النبى متصلا ، وقد صورهم القرآن أقرب الناس مودة الى المؤمنين ٠ وقد قرر القرآن ان المسيح عيسى بن مريم عظيم لم يلده أب ، وانما هو كليم الله وروح

منه ألقاها الى مريم • ووصف تبشير الملائكة لمريم بالمسيح ومولده وما اختصه الله به من معجزات لم يؤتها أحدا م ن رسله كأحياء الموتى وابراء الأكمـــه والابرص ، وانه يجعل من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله، وأنزل عليه وعلى أصحابه مائدة من السماء كانت عيدا لأولهم وآخرهم ، وانه كلم الناس فى المهد ، وانه أرسله الى بنى اسرائيل يدعوهم الى الايمان به ، ولكنهم كذبوه وآذوه وهموا بقتله وصلبه •

وكان مما غضب الله به على اليهود قذفهم لمريم وزعمهم انهم قتلوا المسيح رسول الله •

ولم يكن بين النبى والنصارى جدال الا ما كان بينه وبين نصارى نجران فى مولد عيسى بغير أب ، وكيف انه فى ذلك كآدم ، بل أن آدم خلق من غير أب ولا أم ، كذلك لم يكن بين النبى والنصارى حرب الا حين علم الرسول بعزم أهل الشام من نصارى العرب غزو النبى فأرسل جيشا الى مؤته » وحدثت موقعة امتحن فيها المسلمون لولا براعة خالد بن الوليد التى نجت المسلمين • وعسى أن يكون ما حدث فى « مؤتة » هو ما حمل النبى على غزوة « تبوك » •

النبى مع المنافقين :

وهم الذين أظهروا الاسلام والمودة وأضمروا الكفر والعداوة ، ولهـــذا كانوا أخطر على المسلمين من المشركين واليهود • وكان رأس المنافقين هـــو « عبد الله بن أبى بن سلول » وكان عظيما فى قومه « الاوس » وهى احـــدى القبيلتين اللتين دخلتا الاسلام فى المدينة ، والقبيلة الثانية هى « الخزرج » ولم يسلم « عبد الله » مع قومه حقدا وحسدا للنبى والمسلمين • ولم يستطع الجهر بكفره هو وغيره من المنافقين خوفا من أن يخرجوا من المدينة ، وأموالهم فيها وكبرياؤهم يمنعانهم من ذلك •

ولم يتعرض لهم النبى والمسلمون بسوء ، لما علم النبى عنهم من الوحى ، ولما رآه وسمعه منهم مما يدل على نفاقهم وكفرهم ، لانهم عصموا أنفسهم منه بكلمة التوحيد ، بل لقد عفا النبى عن « عبد الله بن أبى » حين أعلن عداوته

للمسلمين وازماعه أن ينصب لهم الحرب اذا عادوا الى المدينة، ولم يقبل ما أشار به « عمر » من قتله حتى لا يتحدث الناس ــ كما قال الرسول ــ بأن محمدا يقتل أصحابه ٠

وقد فضح الله المنافقين فى خداعهم وعنادهم وكبريائهم فى اكثر من سورة فى القرآن ، وبين أنهم الخاسرون ، وصور حيرتهم بين الخوف والأمن ، وترددهم بين الايمان والكفر ، ومناصرتهم للكافرين ٠ كما صور كسلهم اذا قاموا الى الصلاة لانها صلاة خداع ٠ وأمر الله نبيه أن يبشر المنافقين بالعذاب الأليم وأنهم فى الدرك الأسفل من النار ٠

وكان خطرهم فى الحرب شديدا لما يظهر حينئذ بسببهم من انقسام فى الجيش ، ففريق يقبل على الحرب فى ثقة بالله ووعده ، وفريق هو فريقهم يظهر الجبن ويحتال للفرار ، ويشكك فى عواقب الحرب ويشيع الخوف ، كما فعلوا فى غزوة الأحزاب حين خافوا وأشاعوا الخوف فى أهـــل المدينة وأغروهم بالفرار ، واستأذنوا النبى فى العودة ، متعللين بأن بيوتهم مكشوفة للعدو ، وقد فضح القرآن أمرهم ووصفهم بالجبن والمكر ٠

وقد ظهرت نياتهم حين هم النبى بغزوة تبوك ، لأن ذلك كان فى أشد الصيف حين يشتد القيظ على المقيمين فكيف بالسائرين ؟ ، وكان فى وقت عسرة قل فيه المال ، وهذه الحرب بعيدة عن حدود الشام ، ولا تعرف عواقبها ، وتحتاج الى النفقة الكثيرة ، وأن يجاهد المسلمون فيها بأنفسهم وأمـــوالهم ، ولذلك كانت غزوة « تبوك » محنة للمنافقين جميعا ولفريق من المؤمنين أيضا ، ولهذا شدد الله على المؤمنين فى أن ينفروا مع النبى ، ولا مهم فيما أظهر بعضهم من التثاقل ، واذا كان الجهاد قد ثقل على بعض المؤمنين ، فهو على المنافقين أشد ثقلا ، وقد استأذنوا النبى فى القعود عن الجهاد ، واذن لهم ، وقد بين الله كذبهم حين زعموا انهم كانوا يودون الخروج ، ولكنهم لا يستطيعون لانهم لم يعدوا له عدة ، ومع ذلك فقد كره الله خروجهم لانه يعلم انهم لـــو خرجوا لسعوا بين المؤمنين بالفتن ٠

وقد عدد القرآن سيئاتهم ، كلمز النبى فى الصدقات ، وقولهم عنه انه أذن يسمع ما ينقل اليه ٠ وقد بين الله فى قرآنه غضبه عليهم بعدم جـــواز الاستغفار لهم ، أو الصلاة على أحد منهم مات ، أو قبول عذرهم فى قصورهم عن الجهاد ، ثم نهى النبى عن اخراجهم معه فى قتال العدو ٠ وفى السورة التى سميت باسمهم وصف القرآن حالاتهم فى سكوتهم وكلامهم ، وقولهم وفعلهم ،

وفى مظهرهم ومخبرهم ، وفى جبنهم ومكرهم وكبريائهم ، ونهيهم عن اعانة النبى على نفقة من يحتاج الى النفقة من أصحابه لينفضوا عنه ٠

لقد كان جهاد النبى للمشركين واليهود والمنافقين متصلا وجـــديرا أن يستغرق حياته كلها ، ولكنه لم يستغرق الا أقلها ، وأنفق سائرها فى نشر الاسلام وتعليم المسلمين أمور دينهم ٠

فتح مكة وانتشار الدعوة ووفاة الرسول الأعظم :

لم تكف قريش بعد صلح الحديبة عن مكرها وتحريضها لقبائل العرب فى البادية واغرائهم بالمال وغيره وكانوا أهل مكر وغدر ، فكان منهم من يدعون الاسلام ، ويطلبون من الرسول أن يرسل معهم من يفقهونهم فى الدين ، فاذا ابتعدوا بهم قتلوا بعضهم ، وأسروا البعض ، ونكثت قريش فى عهدها حين أغارت على حلفاء النبى من « خزاعة » فجعل النبى يتهيأ لعقابها ٠ وفى العـــام الثامن للهجرة خرج النبى الى مكة فى جيش كثيف ، ودخلها بعد أن أمر قواده ألا يقاتلوا أحدا الا من عرض لهم بسوء ٠

وأقبل النبى على المسجد الحرام فحطم ما كان حول الكعبة من الأوثان ، وهو يقول « **جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا** » ٠

ثم أمر بلالا فأذن فوق الكعبة ، اعلانا للاسلام ، واجتمعت قريش فقال لهم الرسول : « **ما تظنون انى فاعل بكم ؟** » قالوا : « **خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم** » فقال : اذهبـــوا فانتم الطلقـــاء » ، فاسلمت قريش ودخلت فى دين الله ٠

وبعد الفتح التقى المسلمون و «هوازن » فى « يوم حنين » الذى امتحن فيه المسلمون امتحانا شديدا ، ولكن كانت الدائرة على المشركين ٠

ومنذ ذلك الوقت انتشر الاسلام فى الجزيرة العربية كلهـــا ، فخلق العرب خلقا جديدا اذ اجتمعت كلمتهم ، وأصبحوا أمة واحدة ، وتعاونوا على البر والتقوى ، وصاروا أوفياء أمناء ، أبرارا رحماء ، بعد أن كانوا على عكس ذلك فى ثلاثة وعشرين عاما ، أنفق فيها النبى ثلاثة عشر عاما « بمكة » لا يكاد ينتشر الاسلام الا قليلا ، وعشرة أعوام فى « المدينة » أتم الله فيها على يده جل هذه المعجزة **الكبرى** ٠

وانطلقت الأمة العربية لمهمتها الكبرى ، وتجاوزت حـــدود جزيرتها ، وغيرت وجهة التاريخ ، ووجه الأرض في أقل من نصف قرن ٠

وفى السنة الأخيرة من حياة الرسول ، حج حجة الوداع التى خطب فيها خطبته المشهورة التى كانت وصية عامة للمسلمين ، وأتم عليه السلام رسالته كأكمل ما تتم الرسالات ، وأدى أمانته كأحسن ما تؤدى الأمانات ٠ وصدق الله العظيم حين أنزل على نبيه أثناء حجة الوداع « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » وصدق رسول الله حين صعد المنبر ذات يوم فقال : « ان عبدا قد خيره الله بين زهرة الدنيا وما عنده فاختار ما عند الله » فقال أبو بكر : « بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا » ، فعجب الناس لكلام « أبى بكر » ولم يحققوا مغزاه الا حين اختار الله رسوله للرفيق الأعلى ٠

وتوفى عليه السلام فى نفس الشهر الذى وصل فيه الى المدينة مهاجرا فى ربيع الأول بعد عشر سنوات من هجرته ، ولم يصدق المسلمون أنه قد مات ، ولكن « أبا بكر الصديق » تلا قوله تعالى : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجــزى الله الشاكرين » فثـــاب المسلمون الى صوابهم ، ورجعوا الى الحق ، وذكروا قول الله لنبيه « انك ميت وانهم ميتون »٠

ووقع خلاف بين المهاجرين والأنصـــار فيمن يكون الخليفة ، وحسم « أبو بكر » الخلاف حين روى للانصار حديث الرسول : « الأئمة من قريش » ، فأذعنوا ، وبايع « عمر » « أبا بكر » بالخلافة ، وتبعه المسلمون مهـــاجرين وأنصارا ٠ وامتنع بعض العرب عن دفع الزكاة ، فحاربهم « أبو بكر » لامتناعهم عن أداء ركن من أركان الاسلام ، وظهر كذابون ادعوا النبوة فحاربهم كذلك لظهور ارتدادهم ، وعادت الجزيرة العربية بفضل « أبى بكر » خالصة للاسلام٠ ثم اتجه « أبو بكر » بجيوشه الى العراق والشام ٠

تعليق

كان طه حسين – رحمه الله – فى « مرآة الاسلام » هو طه حسين فى قمة مجده الأدبى والعلمى ، فالكتاب صورة صادقة حية لدقة البحث وصحة التقسيم وحسن العرض ، وعظمة الاستشهاد وقوة التأثير .

لقد قسم المؤلف الكتاب الى قسمين كبيرين خص الأول منهما بسيرة الرسول الكريم العطرة ، كما خص الثانى بالحديث الطويل الصادق الدقيق عن أصلى الاسلام : الكتاب والسنة ، وعما تلا وفاة الرسول من فتنة وافتراق لمذاهب المسلمين وآرائهم ، وعمـــا ينبغى للمسلمين أن يفعلوه فى حاضرهم لرفعة شأن الأمة الاسلامية .

وقد كان تقسيمه لمسائل الكتاب على وفق تسلسلها التـــاريخى فى الغالب ، معالجا كل مسألة فى فصل من الفصول ، ففصول الكتاب متجاورة متلاحقة غير متداخلة مما يسهل الالمام بها .

وقد حقق المؤلف مسائل الكتاب وأحداثه تحقيقا أقرب ما يكون الى الصواب والمنطق والعقل ، متحفظا متحرزا أن يقع فى خطأ ، أو يلم باثم . وزاد عرضه طرافة ورشاقة وتأثيرا ، كما زاده تألقا وتوهجـــا وتمكينا كثرة استشهاده لوقائع الكتاب بما نزل فيها من آيات القرآن الكريم ، والقرآن هو أشد ما يؤثر فى النفوس وينفذ الى القلوب ويحفز على العمل .

وكان من تمام احسان المؤلف أن أفرد القرآن الكريم بأطول فصـــول الكتاب ، وأقواها عرضا . ويزيد « مرآة الاسلام » جلاء وقوة أسلوب طه حسين الذى تفرد به وهو الأسلوب الرشيق الفضفاض ، الذى يميل الى الاطنـــاب والاسهاب أكثر مما يميل الى الاختصار والايجاز . ومن مواقفه التى أثر بهـــا أشد تأثير سواء بأسلوبه الجميل أو حسن عرضه موقفه حينما حكى قصـــة الرسول فى عودته مكروبا محزونا من وفادته على ثقيف ، وقد آوى من التعب والجهد الى ظل بستان من العنب ، وموقفه حينما حكى حديث العبد الذى خيره الله بين هذه الدنيا وما عنده فاختار ما عند الله ، فأدرك أبو بكر أن رسول الله راحل عنهم الى ربه فقال بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله » .

ويمتاز الكاتب فى عرضه الأحداث بصراحته الشديدة ، ففى صراحة لا مواربة فيها يتحدث عن تلك الفتنة التى أصابت حياة المسلمين بعد مقتل عثمان وعن حروب على وعائشة ومعاوية ، ثم يتحدث عن افتراق المسلمين الى مذاهب وآراء تنتهى بهم الى سفكهم دماء بعض ، وكلهم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وكان حريا بهذه الشهادة أن تعصم دماء بعضهم من بعض ، ولكن الله اذا أراد بقوم سوءا فلا مرد له ٠

ومـــع أن الكتاب كله يشير الى عظمة طه حسين فى علمه سعة ، وفى تفكيره دقة وعمقا ، وفى أسلوبه براعة ونصاعة ٠٠ فان بالكتاب مواضع تدعو الى الوقوف عندها لمناقشة المؤلف ٠ منها : انه « يرجح » أن تكون ســـورة القرآن التى تتناول موضوعا واحـــدا قد نزلت جملة ، وكـــذلك تلك التى تتداعى موضوعاتها تداعيا شديدا ويلتزم فيها نسق بعينه وكذلك العكس ٠

والأمر كما نعرف توقيف لا مدخل فيه لاعمال العقـــل والاستنتـــاج والترجيح ٠ بل ان المؤلف يكاد يخرج ببعض آرائه فى ذلك حـــين يرى أن سورة « يوسف » وسورتى « هود » و « الانفال » أنزلت جملة « والمصحف الذى بين أيدينا يذكر أن السور الثلاث مكية مدنية ويحدد الآيات المكية فيها والآيات المدنية ٠

ومنها : انه يذكر أن على بن أبى طالب رضى الله عنه امتنع عن بيعة أبى بكر الصديق أول الأمر لأن أبا بكر منع فاطمة ميراث أبيها عليه السلام فغضبت لذلك وغضب معها على ٠ ولئن كان عـــلى قد تأخر فى بيعـــة أبى بكر حقيقة وغضب لغضب فاطمة بالفعل ، فان المؤرخين الثقات ينكرون أن يكون تأخر مبايعة على لأبى بكر بسبب منعه فاطمة من ميراث أبيها ٠ بل لابد أن يكون بسبب آخر ٠

رحم الله طه حسين المؤمن الذى طالما اتهم فى عقيدته وايمانه ، ورحم الله « حافظ ابراهيم » الذى أنصفه اذ ظلمه الكثيرون ، فكتب اليه هذين البيتين الطريفين :

ان صح ما قالوا وما أرجفوا   وشنعوا زورا بدين العميد
فكفر « طه » عند ديانـــه   أحب من ايمان «عبد الحميد(١)

---

(١) عبد الحميد : هو عبد الحميد سعيد أحد البرلمانيين ، والمتشددين الذين اتهموا طه حسين بالكفر لاصداره كتاب « فى الشعر الجاهلى » . والاتهام بالكفر والزندقة اتهام خطير لأنه يمس العقيدة والقلب ، والله وحده هو العليم بالسرائر . وكثيرا ما اتهم بالكفر ظلما العلمـــاء الاعلام من ذوى الفكر الوثاب الذى يغذى الحياة ، وأقرب الأمثلة على ذلك الامام محمد عبده الذى اتهم بهذه التهمة ، وهو من هو دفاعا عن الدين ، واجلاء لعقيدة التوحيد . ومن ذا الذى لم يعد يتمنى أن يكون كالاستاذ الامام ايمانا ودفاعا عن الايمان ، ولو اتهمه النـــاس بكل ما اتهموه به ؟! على حد قول القائل :

ان كان رفضا حب آل محمد   فليشهد الثقلان أنى رافضى

أغنية النصر شعر د. أحمد هيكل

اغنية النصر

شعر د . أحمد هيكل (١)

شعبنا الحر الذى كان طعينـــا
طاوى الصدر على الجرح سنينا

عاد عملاقا قويـــا شامخـــا
عالى الرايات لا يحنى الجبينـا

جيشه الباسل داوى جرحـــه
وشفى الصدر بقهر المعتدينـــا

عندما اطلق فرسان الحـــمى
يكتبون المجد فى صفحة سينـا

حينما قيل اعبروا فانطلقـوا
يصنعون الفخر والنصر المبينـا

وصحا العـــرب على هبتهم
يشهدون الحلم قد عاد يقينـــا

ويغنون نشيـدا هـــادرا
بعد أن كادوا يذوبون أنينـــا

* * * *

يا أخي الزاحف فى الارض الحبيبة
مرجعا للأم سينـــاء السليبـه

دافنا صهيون فى بيدائهـــا
بعد ما اطفأت بالنار لهيبـــه

قد محوت العار عن أعراضنـــا
باذلا روحك للمجد ضريبـــه

ان أخذت الثأر من واترنـــا
وأذقت البغى أهـــوالا رهيبه

ساعة التحرير دقت فـــاذا
كل فرد صار فى الجيش كتيبه

انه البعث يـــدوى صوتـــه
وبنود النصر تعلونـــا مهيبـه

* *

يابنـــاة المجد صناع الســـلام
ياحماة الحق من بغى اللئـام

أغصن الزيتون داسوها فما
لطغاة عربدوا غير الحســـام

المفردات اللغوية :

الحمى : ما يحمى ويدافع عنه. شامخا : متكبرا عزيزا . هبتهم ثورتهم وهياجهم

---

(١) نشرت فى اخبار اليوم فى ١٩٧٣/١١/١٧ م .

هادرا : ذا صوت مرتفع · بيدائها : صحرائها · واترنا : من لنا ثأر عنده · البغي : الظلم · كتيبة : قطعة من الجيش · بنود النصر : أعلامه · عربدو' : ساءت أخلاقهم · الحسام : السيف ·

حول مناسبة القصيدة :

شنت اسرائيل فى الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ عدوانا غادرا على الأرض العربية انتهى باحتلالها لشبه جزيرة سيناء ، وقطاع غزة ، ومرتفعات الجولان ، والقدس العربية ، والضفة الغربية لنهر الاردن ، قاصدة من وراء ذلك العدوان الغادر ضرب قوة مصر الصاعدة ، وتمزيق الصف العربى ، وتحقيق أهدافها فى التوسع لاقامة دولتها من النيل الى الفرات ·

وكانت النكسة صدمة قاسية للمشاعر العربية . وقد استفادت اسرائيل مما غرسته النكسة فى نفوسنا من ألم . وفى عقولنا من حيرة فائدة كبيرة . فعمدت أجهزتها فى الدعاية الى المبالغة فى قوتها ، وصورتها بأنها القوة التى لا تقهر ، وساندت بعض الدول الكبرى اسرائيل لتضمن لها التفوق العسكرى ، وأقام العدو على الضفة الشرقية للقناة حائطا دفاعيا واستحكامات قوية ، وبرغم اصدار مجلس الأمن قراره الشهير ٢٤٢ فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ . الذى نص على انسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المختلفة ، والاعتراف بحقوق شعب فلسطين ، فان اسرائيل رفضت تنفيذ القرار متحدية ارادة المجتمع الدولى ·

ولكن جماهير الأمة العربية رفضت الهزيمة . وصمدت طوال السنوات الست الماضية ، وأخذت تتحرك بسرعة فائقة سياسيا وعسكريا لتستعد ليوم التحرير وتستعيد أرضها المسلوبة · وعقدت مؤتمرات قمة عربية للملوك والرؤساء العرب ، كان أولها مؤتمر الخرطوم فى سبتمبر سنة ١٩٦٧م ، وهو الذى قرر دعما ماليا لدول المواجهة مع اسرائيل (مصر وسورية والاردن) . تلاه آخر فى الرباط فى ديسمبر سنة ١٨٦٩ ، ثم ثالث فى القاهرة فى سبتمبر سنة ١٩٧٠ · وركزت مصر جهودها على بناء قوتها المسلحة فى صمت شديد وصبر جميل وحكمة بالغة ·

وفى مرحلة المواجهة الشاملة التى أعلنها الرئيس « أنور السادات » قامت دولة اتحاد الجمهوريات العربية التى تضم مصر وسوريا وليبيا عام ١٩٧١ ، مستهدفة حشد مواردها الاقتصادية والبشرية والعسكرية لمواجهة تحديات العدو الاسرائيلى ، وازالة آثار العدوان · وبدأ تحرك سياسى سريع وشامل على المستوى العالمى لاقناع دول العالم بسلامة موقف مصر ، وتعنت

العدو ، وكان من آثاره مؤتمر الجزائر لدول عدم الانحياز فى سبتمبر سنة ١٩٧٣ ، وخد أدان الاحتلال الاسرائيلى ، وأيد الحق العربى ، وطالب بضرورة تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ٠ واما منظمه الوحدة الافريقيه فقد قطعت اكثر دولها علاقاتها السياسيه باسرائيل حتى تنسحب من الاراضى العربيه المحتله٠ وكذلك اكدت دول اوربا الغربيه ان انسحاب القوات الاسرائيليه هو السبيل الوحيد لاقرار السلام القائم على العدل فى المنطقة ٠ وهكذا هيات مصر الاذهان كلها ليوم الجهاد الاكبر فى العاشر من رمضان ، السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ حين خرج الابطال من قواتنا المسلحة فى فترة ساد فيها الظلام يحملون مشاعل النور ، ويضيئون الطريق ، حتى تستطيع أن تعبر الجسر ما بين اليأس والرجاء ٠

ولقد كان عبور قواتنا المسلحة « لقناة السويس » ، وتحطيم « خط بارليف » من الأعمال العسكرية الرائعة التى سوف يسجلها التاريخ فى سجل البطولات الخالدة ، فقد كانت العملية فى ضوء النهار على جبهة تمتد مائة وثمانية كيلو متر ، وتقتضى اجتياز مانع مائى واسع ، واختراق ساتر منيع قوى على شاطىء القناة من حوله ومن ورائه الأسلاك الشائكة والألغام ، واجتياح خط بارليف بمواقعه الحصينة المترابطة المزودة بأحدث الأسلحة ٠

وكانت للعبور نتائج باهرة من أهمها :

نتائج العبور :

١ – انه كان مفاجأة أدهشت العدو ، واربكت جيشه ، وأفقدته توازنه ٠

٢ – وانه كسر الجمود الذى سيطر على الجبهة ست سنوات قضيناها فى حالة من اللاسلم واللا حرب ٠

٣ – وانه محا غرور اسرائيل ، وبدد ما تدعيه من تفوق عسكرى أمام قوى الأمة العربية مجتمعة ٠

٤ – وانه جمع الأمة العربية فى كفاح عربى قوى كان الاسهام فيه بالمال والسلاح والدم ٠

٥ – وانه أشهر سلاح البترول العربى فى وجه الدول الموالية لاسرائيل مما هز العالم كله ، واشعره أنه أمام قوة عربية جبارة تستطيع بالوحدة أن تحقق كل آمالها المشروعة ٠

٦ ـ وأنه دفع بالقضية العربية الى السطح بعد أن كانت غائرة فى الأعماق، بل جعلها أولى القضايا العالمية التى يسعى العالم كله الى حلها ٠

٧ ـ وانه حول العالم تحويلا جذريا نحو العرب ، فأصبح الأعداء والأصدقاء على السواء يقدرون العرب ، ويصححون فكرتهم عنهم ، وينظرون الى الشعب العربى على أنه شعب عظيم عريق ، غيور على حقه ، مدافع عنه بكل ما يمتلك ٠

٨ ـ وأخيرا انه جعل الأمة العربية تتحدث عن حقها من موقع القوة سواء فيما يتعلق بالتسوية السلمية ، أو فيما يمكن أن تدفع اليه الاحداث من معاودة للصراع والحرب ٠

دلالات العبور :

وكانت لهذا العبور دلالات نفسية وعسكرية ووطنية وقومية وعالمية :

١ ـ فلقد حطم حاجز الخوف واليأس والتردد والتمزق والشك ،فاستبدل لدى الفرد العربى والامة العربية بالخوف جرأة ، وباليأس املا ، وبالتردد والتمزق تماسكا واستقرارا ، وبالشك فى الطاقات والامكانات ثقة واطمئنانا ٠

٢ ـ ولقد دلل على أن الجندى العربى قد استوعب سلاحه الى درجة أثارت دهشة العالم ، واندفع بايمان الى التضحية والفداء فى اصرار انتحارى اعترف به العدو ، وأخذا زمام المبادرة بعد أن عكف فى صمت على التدريب على أحدث الأسلحة ، وأكثرها تعقيدا طوال ست سنوات ٠

٣ ـ كما دلل على صلابة الجبهة الداخلية ووحدتها مع جبهة القتال ، فقد سارع الشعب وقت المعركة متبرعا بالدم ، متطوعا فى الدفاع المدنى والشعبى ، مؤثرا المحاربين فى ميدان القتال على رغباته ، حيا بقلبه وروحه معهم ٠

٤ ـ كذلك دل على سلامة البناء العربى ، فقد وقفت الأمة العربية كلها صفا واحدا بعد العبور كالبنيان المرصوص ٠

٥ ـ ولقد دلل كذلك على أن الرأى العام العالمى الحر كان معنا أكثر من ذى قبل بعد معجزة العبور ٠

٦ – وأخيرا لقد دلل العبور على أن شعار العلم والايمان قد طبق فعلا ، وانه كان ولا يزال السبيل الوحيد الى النصر واتمامه(١) ٠

من اجل هذا كله كان العبور ملحمة سياسيه وعسكرية تستحق ان تكتب فيها ملاحم نثريه وشعريه ٠ واذا كان الكتاب قد كتبوا والشعراء قد نظموا الكثير ، فان ما يمكن وما ينبغى أن يكتب من النثر وأن ينظم من الشعر أكثر وأكثر مما قد حدث ٠ وقصيدتنا هى احدى القصائد الكثيرة التى نظمت ابتهاجا باولى بشائر النصر فى معركة التحرير الكبرى ٠

تحليل القصيدة

أولا : عاطفة الشاعر وتجربته الشعرية :

كان موضوع الانتصار العظيم فى أكتوبر المجيد عام ١٩٧٣ هو موضوع الساعة ، ليس لدى عامة المصريين أو العرب وحدهم ، بل كان موضوع الساعة لدى العالم كله . لانه كان غريبا فى شكله ، مثيرا مذهلا ، فقد حطم خرافة التفوق الاسرائيلى التى كان العدو يحاول أن يموه الكلام عنها ، ليضلوا بها عقول الناس فى كل مكان ، حتى كادت تلك الخرافة أن ترقى الى درجة اليقين لـــدى الكثيرين ٠ كذلك كان موضوع انتصارنا هذا موضوع الساعة فى العالم أجمع، لانه كان فى نتائجه وآثاره أشد غرابة واثارة منه فى شكله ومقدماته ، فقد قلب الأوضاع ، وغير الموازين والعلاقات ، وكان نقطة تحول خطيرة فى تاريخ العالم الحديث ٠ لقد رفع من قيمة العرب وشأنهم وحط من قيمة الصهاينة وأعوانهم ، وهو الآن يضع العرب فى موقف القوى المتحكم بالحق فى مسار التاريخ ، واتجاهات الأحداث ، واملاء السياسة ، وتحديد وتحقيق الأهداف٠

كل ذلك جعل الشعراء العـــرب يعيشون التجربة بكل أحاسيسهم ووجداناتهم ، فجعلهم يصدرون فيما يقولون عن عاطفة جياشة تملك عليهم كل جوارحهم وأفئدتهم ، والشاعر الدكتور أحمد هيكل هو أحـــد أولئك الشعراء الذين فاضت عاطفتهم ، فكتب قصيدته من وحى تلك العاطفة الفياضة الصادقة التى نحس بحرارتها وصدقها وهديرها فى نفوسنا حـــين نقرأ أبيات القصيدة ٠

(١) ملخصة بتصرف من كتاب ٦ أكتوبر العظيم ، من مطبوعات وزارة التربية والتعليم طبعة ١٩٧٣ ٠

ثانيا : الأفكار :

وأفكار القصيدة واضحة عميقة دقيقة مرتبة مترابطة تمتزج بالتجربة النفسية للشاعر : فهو يمر عجلا وفى بيت واحد بما كنا عليه من احساس بالمرارة والألم الشديد بسبب النكسة ، لانه فى موقف المتفرج المنتشى المزهو بالنصر الذى سئم الحزن واقبل على عهد جديد كله بشر وايناس ٠ ثم هو يعلن اعلانا مركزاعما أصبحنا عليه من علوشان وشموخ أنف ، واكتمال وكرامة بعد أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ثم يأخذ فى تفصيل الأمر ، فيبين السبب فيما حققناه من انتصار ، وهو ذلك الجيش الباسل الذى محا العار بقهر المعتدين ، وعبر القناة الى سيناء ، مما أذهل العرب وجعلهم يهدرون بالاناشيد مغنين بعد أن كادوا يذوبون أنينا ٠ ويستحضر الشاعر صورة ذلك الجيش الباسل المظفر فيلتفت اليه بالخطاب ويقول : لقد أرجعت أيها الجيش الباسل سيناء السليبة بعد أن دفنت فى رمالها صهيون ، ومحوت العار وأخذت الثأر دافعا روحك ضريبة لمجد بلادك ، وما كان ذلك الا حقا لك بل واجبا عليك ٠ ولذلك فحينما دقت الساعة (ساعة الجهاد) اندفعت بقوة وحماس شديدين لتحرز ذلك النصر الذى بعثنا من جديد ، وجعلت راياته ترفرف خفاقة فوق الرؤوس ٠

وينتهى الشاعر بتلخيص مركز لموقفنا وحقنا ولموقف أعدائنا وباطلهم ، كاشفا النتيجة المنطقية للموقفين فى صورة حقيقية ثابتة لاشك فيها وهى انتصار الحق على الباطل لا محالة ٠

ويمكن حصر أفكار القصيدة فى فكرتين أساسيتين هما :

١ ــ وصف ما أصبحنا عليه من نصر بعد ما كنا فيه من هزيمة ، وأسبابه ونتائجه (من ١ ــ ٧) ٠

٢ ــ اشادة بالعمل المجيد الذى قامت به قواتنا المسلحة ، وشرح له (من ٨ ــ ١٦) ٠

ثالثا : الأسلوب :

ونعنى به التعبير والتصوير كليهما ٠

أما التعبير : فقد عبر الشاعر عن أفكاره فى القصيدة بأساليب خبرية ؛ لانه كان بصدد حكاية ملحمة شعبية عسكرية بتفاصيلها الواقعية ٠ لذلك كان فى حاجة الى الأخبار عن تلك الأحداث الرائعة بأسلوب الخبر ٠ ولم يغير من هذا الاسلوب الا حينما التفت الى الجيش الباسل ليشيد به ، فحدث عنه

بأسلوب النداء . وقد دفعه الى هذا الالتفات ذلك الانتصار المهيب الذى حققه مما جعله يستحضره فى ذهنه كأنه ماثل أمامه يخاطبه ويمتدحه على جرأته وبسالته . ثم التفت مرة أخرى فى آخر القصيدة ليخاطب أولئك الأبطال مرة ثانية قائلا : ان ما فعلوه لم يكن الا ضرورة فرضها ذلك العدو اللئيم حين داس بأقدامه أغصن الزيتون وقيم الحق والسلام .

وقد انتقى الشاعر لقصيدته ألفاظا جزلة رصينة معبرة موحية . وفى الجزء الأول من القصيدة نرى الشاعر تغمره الفرحة والنشوة بالانتصار، ولذلك يفيض تعبيره بالفرح والسرور والاحساس بالنصر . أنظر قوله : عاد عملاقا – عالى الرايات – داوى جرحه – شفى الصدر – يصنعون الفخر والنصر المبين – الحلم قد عاد يقينا – يغنون نشيدا هادرا . وأصوات الالفاظ نفسها توحى بهذا الفرح ، فالمدات الكثيرة فى هذه الألفاظ توحى بالاحساس بالتعالى والفخر ، كما فى : عملاقا – شامخا – عالى – الرايات – الباسل – داوى – فرسان الحمى – سينا – صحا هادرا .

والبيت الأول يوحى بالألم الدفين الذى كان يحس به كل عربى بسبب نكسة عام ١٩٦٧ م . ولكن الشاعر لم يشأ وهو بصدد اعلان الفرحة والتغنى بالنصر المؤزر الذى أحرزناه . لم يشأ أن يقف طويلا عند هذه الذكرى المؤلمة ، فانتقل منها سريعا الى ما أراد . وقد بدأت الفرحة الشديدة تظهر شدتها بوضوح فى تلك الصفات المتتابعة فى البيت الثانى (عملاقا – قويا – شامخا – عالى الرايات – لا يحنى الجبينا) .

وفى الجزء الثانى من القصيدة نرى الشاعر يعرض الموقف ويحلله، ويبين السبب فيه ، وانه كان ضروريا لابد منه . ولذلك فحينما اذن بالقتال اندفع كل فرد من أفراد القوات المسلحة كأنه كتيبة ، وزحفوا فى كثرة تشبه البعث، ترتفع فوقهم رايات النصر ، وما دام الاعداء قد انتهكوا حرمة السلام فليس يقومهم الا الحسام . ولذلك فان الشاعر فى هذا الجزء من القصيدة وان استخدم الالفاظ القوية الجزلة الرصينة المناسبة للغرض العام ، وهو الفخر ، بالعمل المجيد والمدح لقواتنا المسلحة ، الا انه خفف من تلك الألفاظ الممتدة الأصوات المعبرة عن النشوة لان الموقف قد تغير ، والعاطفة قد خفت حدتها ، واتجهت اتجاها عقليا تتحدد فيه الأسباب والأحداث والنتائج بأسلوب أدبى وبعرض شائق .

ومن أجمل أبيات القصيدة قول الشاعر مخاطبا المقاتل المصرى :

قد محوت العار عن أعراضـــنا
باذلا روحـــك للمجــد ضريبة
ان أخـــذت الثـأر من واترنا
وأذقت البغى أهـــوالا رهيبة
ما عجيب أخـــذ ثار موجـــع
انما النوم عن الثـــأر عجيبة

واما التصوير : فقد كان تصويرا رائعا بحق ، ولقد كانت القصيدةلوحة فنية ذات أركان وألوان ، لوحة حية تفيض بالحركة الشديدة، وتضج بالاصوات المرتفعـــة ٠

انظر الى الحركة فيها فى قوله : كان طعينا ــ عالى الرايات ــ لا يحنى الجبينا ــ داوى جرحه ــ أطلق فرسان الحمى ــ يكتبون المجد ــ انطلقوا ــ الزاحف ــ مرجعا للأم سيناء السليبة ــ دافنا صهيون ــ أطفأت ــ محـوت ــ أغصن الزيتون داسوها ٠ وانظر الى الاصوات المرتفعة فى قوله : يغنون نشيدا هادرا ــ ساعة التحرير دقت ــ البعث يدوى صوته ٠

لقد جسم الشاعر معانيه تجسيما جعلنا نحس بها ثم نستوحى منها دلالات بعيدة باشارات عميقة ٠ وانظر الى تجسيمه لتلك المعانىبالاستعارات فى : كان طعينا ــ طاوى الصدر على الجرح ــ داوى جرحه وشفى الصدر ــ يشهدون الحلم ــ محوت العار ــ باذلا روحك ــ أخذت الثأر ــ وأذقتالبغى ــ وانظر الى كناياته الجميلة فى : عالى الرايات لا يحنى الجبينا ــ يغنون نشيدا ــ كادوا يذيبون أنينا ــ يا بناة المجد ــ صناع السلام ــ يا حماة الحق ــ أغصن الزيتون داسوها ٠ ثم انظر الى تشبيهاته الرائعة وما توحى به فى قوله : عاد عملاقا ــ فى صفحة سينا ــ باذلا روحك للمجد ضريبة ــ كل فرد صار فى الجيش كتيبة ــ انه البعث ٠ وانظر الى الجمال الذى أضفته المحسناتالبديعية من الجناس والطباق على القصيدة فى مثل قوله : عالى الرايات ولا يحنى الجبينا ــ الحلم قد عاد يقينا ــ يغنون نشيدا ويذوبون أنينـــا ــ الحبيبة والسليبة ــ ما عجيب وعجيبة ــ بناة السلام وحماة واللثام ٠

وصور الشاعر وان كانت جزئية بسيطة الا أنها طبيعية جميلة ذات دلالة شعورية ٠ فهى توحى بحالة الشاعر النفسية وهى نفس حالة كل أفراد الشعب العربى الذى انتشى مزدهيا بالنصر فى معركة التحرير ٠

رابعا : الموسيقى :

نظم الشاعر قصيدته من بحر الرمل (فاعلاتن ست مرات) بقافية لم تتوحد وان انتظمت فى كل مقطوعة ، وقد عاون بحر الرمل ، ذلك البحرالسريع المنتظم التفعيلات والممتدها ـ عاون الشاعر على التعبير عن كل معـــانى الفخـــر والاعتزاز التى قصد اليها فى قصيدته • فهذا البحر مناسب كل المناسبـــة لأداء تلك المعانى ، وكثيرا ما نظم فيه شعراؤنا القدامى قصائدهم فى المديح والفخـــر •

وتنوع القافية يعين الشاعر على التعبير الطبيعى عن معانيه دون اضطرار الى اختيار بعض ألفاظ القافية التى لا تناسب المقام ، وان كانت هذه المزية لا تظهر فى قصيدتنا لقصرها مما لم يكن ليلجىء الشاعر الى مثل تلك الضرورة اذا وحد الشاعر القافية • على أن تنوع القافية فى القصيدة أفاد فائدة نجدها دائما حين تتنوع القافية وهى التلوين الموسيقى فلا شك أن صوت الياء ثم النون الممدودة بالفتح فى المقطوعة الأولى من القصيدة (سنينا ـ الجبينا ••• الخ) يختلف عن صوت الياء ثم الباء المفتوحة والموصولة بهاء ساكنة(السليبه •• لهيبه •• الخ) ويختلف عن المد بالألف ثم الميـــــم الساكنة (اللثام ـ الحسام ••) •

على أن بالقصيدة نوعا آخر من الموسيقى الداخلية وهى تلك الموسيقى الناشئة من اختيار الشاعر لالفاظ معينة ، وتأليفه بينها تأليفا حسنا • وعاون على تلك الموسيقى ما نجده فى القصيدة من ألوان البديع من جناس وطباق وقواف داخلية •

وقد تماسكت أفكار القصيدة مع ألفاظها ومعانيها وعواطفها تماسكا قويا عضويا •

وهكذا تبدو القصيدة فى كل جانب من جوانبها وعنصر من عناصرها عظيمة ورائعة • ولعل الدعامتين الاساسيتين فى هذه العظمة وتلك الروعة هما ثقافة الشاعر الادبية ، وحالة الشاعر النفسية •

قصائد جديدة للمؤلف

ألقيت فى كلية التربية – جامعة طنطا

أحزاب لا منابر (١)

(قصيدة ألقيت بقاعة مسرح الكلية فى الندوة التى عقدها المسئولون عن المحافظة والاتحاد الاشتراكى حـــول موضوع « مستقبل العمـــل السياسى فى مصر » ، وحضرها محافظ الغربية ، وقيادات الاتحـاد الاشتراكى بالمحافظة فى ١٩٧٦/٢/٢٢ م) .

قال لى صاحبى وذو الرأى عندى ... قم تر القوم بين جذب وشـــد
قم تر القوم فى صراع مرير ... وتحـد ما بعـده من تحـــد
قم تراهم على خلاف شــديد ... والخلافالشديد فىالرأى يردى
فدع الشعر ما تصبح منــــه بدعـــــــد وما تسمى بهنـد
ودع النحو والخـلافات فيـــه ... وصراعا ما بين عمـرو وزيـــد
وتبصر فى أمر قومك فالامر خطـير ... ولـــم يعــد أمـــر فـــرد
هـــو مستقبل الحيـــاة لمصر ... فهى أما لشـــقوة أو لســـعد
قم وشارك بالرأى فيه حثيثا ... رب ما قد تراه فى الامر يهدى
فالبخيل .. الذى يضن برأى ... أمـه مصر ترلجيــــه لمجـد

★ ★ ★

قلت قد طار يا صديقى صوابى ... ولهذا فلن تفـــوز بـــردى
أفتنى أنت يا صديق فكم جد ... ت لى سالفــــا برأى أســـد
قال هاك الـــذى أردت وانى ... أشهد الله أنما الخير قصــــدى
قد رشــدنا فمن يقـــول بأنا ... ما بلغنا فى عمرنا سنرشد ؟!
قد رشدنا ولن نعـــود صغارا ... تستبينا عرائس حـــول مهد
شب ياصاحبى عنالطوق شعب ... فلماذا قد أوثقـــوه بقيـــد ؟
ولماذا لم يرسـلوه طليقـــا ؟ ... ولماذا لم يكرموه .. بقصـــد ؟
أفيدعى بالحـر قولا وأمـــا ... حين يأتى فعلا يكون كعبد ؟ !

★ ★ ★

---

(١) الرأى الذى رآه الشاعر (المؤلف) فى القصيدة هو ما جرى العمل سياسيا به بعد ذلك ، فقد جرى العمل بنظام المنابر لفترة وجيزة ، ثم جرى بنظام الأحزاب ، وسمح بأحزاب ثلاثة فقط بادىء الأمر ، ثم فتح الباب لأحزاب جديدة ، فتشكل أخيرا حزب الوفد .

والشاعر (المؤلف) عمل قبل ذلك فى نظام الحزب الواحد (الاتحاد الاشتراكى العربى) اذ كان عضوا فى المكتب التنفيذى لمحافظة الغربية وأمينا لشباب المحافظة فى الفترة من ١٩٦٥ حتى عام ١٩٧١ .

لم يعد حق واحد أن يكون وصيـ ــا على أمرنا يعيد ويبدى
ان من حقنا بأن نتولى أمرنا كله لحل وعقد
بل ومن حقنا بأن نتصدى للالى يحكمون أى تصد
شعبنا المستعد فى كل شأن لم يعد للضغوط بالمستعد
فدعوا من يشاء يصنع حزبًا لا تخافوا من انحراف وحيد
لا تقولوا منابرا ناميات أو تقولوا بل راسخات كطود
أطلقوها حرية ليس فيها تجزئات أو ارتباط بوعد

★ ★ ★

لا تخافو على مكاسب شعب قد جناها بكل جهد وكد
اننا الشعب سوف نسحق سحقا كل خَصم للمنجزات ألد
كل حزب ينسى المكاسب يبقى ونضحي من أجله ونفدى
الرقيب الحسيب فينا قوى وهو ينأى عن كل حقد وكيد
ليس ينجو مضلل بضلال بل سيحظى بطرده شر طرد
لا احترام لخائن وجبان لا مكان لمستغل ووغد
ان نكن فى حمى شديد بوعى اننا فى حمى الاله الأشد

★ ★ ★

يارعاكِ الإله يا مصر دوما وحباك الإله دوما برفد
فلقد قال ذات يوم أمير الشعرا ء قول حق وجد
« وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى اليه نفسى بخلد »
أيها القوم مصركم ترتجيكم فاعملوا لا تنوا وأوفوا بعهد
إن مصرا قد أسعدتكم كثيرا فابذلوا فى سبيلها كل جهد
ان مصرا تُهدى إليكم حياة فافتدوها بمثل ما هى تهدى

(أعيدا مملكة الشعر وأقيموا دولته)

قصيدة ألقيت بالكلية خلال الموسم الدراسى ١٩٧٧/٧٦ م

أعيدوا لنا بالشعر مملكة الشعر ... فنحن على شوق أحر من الجمر
لقد صوحت يا قوم للشعر أيكة ... بلابلها كانت تغنى الهوى العذرى
وقد أجدبت يا قوم للشعر جنة ... وقد كانت الانهار من تحتها تجرى
وقد أقفرت يا قوم للشعر ساحة ... ولم تك يوما ساحة الشعر بالقفر
وقد طويت ياقوم للشعر صفحة ... ولم تك الا للنبـــاهة والنشر
وقد غربت شمس وغاضت بشاشة ... وضاع شباب الشعر فى موكب الدهر

★ ★ ★

وما الشعر الا السحر فى نفثاته ... يقول فيستولى على العقل والفكر
وما الشعر الا الفجر ينسخ ضوؤه ... ظلاما تغشى فى المساء الى الفجر
وما الشعر الا النهر ينقع غلة ... ويغسل أدران البسيطة بالطهر

★ ★ ★

وما الشعر الا الخير يمضى خميسه ... الى ساحة الهيجا فيقضى على الشر
وما الشعر الا الحق يقطع سيفه ... أباطيلَ من حادوا الى البطل والنكر
وما الشعر الا الحب يجمع حوله ... قلوبا على أحلى من الشهد والخمر

★ ★ ★

فهيا أقيموا دولة الشعر ، إنها ... تقوم على ذا الحب ، والحق والخير
حكومتها بالعدل تسعد شعبها ... ولو انها تجرى على النهى والامر

(طر الى ليبيا)

قصيدة قيلت فى تكريم الزميل الإستاذ الدكتور / محمود فياض بمناسبة سفره الى ليبيا فى ٢٦/١١/١٩٧٦ م .

يا ثَرِيَّ الروح والنفس ... يا رفيع الذوق والحس
يا رشيق اللفظ فى أدب ... يا رقيق النطق والجرس
يا صغير الجسم مستويا ... وكبير العقل والرأس
كم بذلت الجهد فى عمل ... فجنيت النجح فى درس !
أنت محمود وفياض ... من جميل الصنع والغرس

★ ★ ★

صاحبى يا من نقدره ... بعتنا يا صاح بالبخس
أوذى أخلاق من نسلوا ... من بنى ذبيان أو عبس؟!
كان حدسى يا أخى حسنا ... ولقد اخطأت فى الحدس
ليس هذا ما وعدت به ... جاء ما قد قلت بالعكس

★ ★ ★

طر الى ليبيا وفى ليبيا ... من رخى العيش ما ينسى
لن تكون اليوم فى رهق ... مثلما قد كنت بالامس
فاسل ما قد ذقت من عنت ... وامح ماقد حل من نحس
وانطلق حرا الى أمل ... واترك الاحباب فى الحبس
اذهبن فى نعمة ورضا ... ودع الاصحاب فى تعس
اسعدن واهنأ وطر فرحا ... ولأعش فى الهم واليأس
وانعمن بالمن والسلوى ... ولأمت فى الفول والعدس

★ ★ ★

أنت تدرى من أكون أنا ... أنا فى الآلات كالترس
جامد فى أخوة جمدوا ... أخرس فى معشر خرس
ضائق ذرعا ببقال ... غارق فى الفقر للرأس
ثائر فى الصبح مشتعل ... مستطار اللب اذ أمسى
فاذا أضحيت فى ليبيا ... علما فى مفرق الشمس
فاقتعد كرسىَّ أستاذ ... واحجزن لى يا أخى كرسى !

★ ★ ★

يا نسيم الصبح فى دعة ... وعبير الروض فى أنس
ان ما أبغيه من كَلِم ... ضاق عنه واسع الطرس
ليس يجدى فى معالجتى ... فى اشتياق أمهر النطس
فاسقنى من قبل فرقتنا ... من رحيق الحب بالكأس
ولتعش دوما وفى سعة ... ولنعش دوما وفى عُرُس

(دعوة لعـــودة)

(قصيدة عاطفية تصور ذكريات الصبا فى بساطتـــه وطهره وصفائـه ، وتدعو الحبيب النائى الى وصل حبل الحب من جديد) ٠

ألقيت فى مهرجان الشعر بالكليـــة فى يناير سنة ١٩٧٧ م

لماذا قد تناءينا
وقد كنا قريبين بنفسنا وجسمينا؟!

لماذا قـــد تناءينا

برغـــم صـــفاء حبينـــا   ورغم بيـــاض قلبينـــا ؟ !

★ ★ ★

لمـاذا يا شقيق الـــرو   ح يشقى الصـــد روحينـا
لمـــاذا يا حبيب العمـــ   ـر يفنى الهجر عمرينـــا ؟

★ ★ ★

أتنس كـــم تواعـــدنا ؟   أتنسى كـــم تلاقينـــا ؟
وعـــن بعـــد تنادينـــا   وعن قـــرب تناجينا ؟!

★ ★ ★

أتنسى كم تحادثنا ؟   فلم نكمل حديثينا ؟ !
وان ضاقت بنا لغة   تكلمنـــا بلحظينـــا ؟ !

★ ★ ★

أتنسى كـــم بأوراق   من الزهر تراميـــنا ؟
أتنسى كم بطـــاقات   من الـــورد تهـــادينا ؟
وفى غرس شـجيرات   قضينا بعض وقتينـــا
وفى صـــيد فراشـــات   ضحكنا ملء شدقينا ؟ !

★ ★ ★

أتنسى كم تصاعدنا وللتل تسامينا ؟
أتنسى كم تدافعنا وللسفح تهاوينا ؟

★ ★ ★

أتنسى كم تباعدنا وفى شوق تدانينا
أتنسى كم تخاصمنا وفى صمت تصافينا ؟ —

★ ★ ★

أتنسى ما كتبناه على الماء بخطينا ؟
أتنسى ما خططناه على الرمل بكفينا ؟
أتنسى ما حفرناه على الجذع بظفرينا ؟

★ ★ ★

سكارى الحب قد ملأوا الـ دنان بخمر حبينا
طيور الايك غنت بعـ ض ما كنا تغنينا
نسيم الروض ما ساوى بنفحته شعورينا

★ ★ ★

تساقينا كئوس الحـ ـب خمرا ، كم تساقينا !
تمنينا وما أكـ ـثر ما كنا تمنينا !
تباكينا من الايا م تمضى ، كم تباكينا !
تشاكينا من الاقدا ر تقسو ، كم تشاكينا !
فرشنا الارض بالازها ر كى لا تدمى رجلينا
رششنا من تصافينا بماء الورد دربينا
نسجنا من خيوط الفـ ـل والنسرين ثوبينا
وكحلنا بنور الحـ ـب والفرحة جفنينا
وشنفنا بلحن الهمـ س بالاسرار سمعينا
وأسكرنا بخمر اللفـ ـظ والتعبير قلبينا

★ ★ ★

سعدنا بالذى قد كا ن منا أو حوالينا
وبالحب الذى عشنا ه فى صدق تباهينا
ولم نعبأ بما يشقى وما يرهق مثلينا

فلم يضن الطريق الوعـ ـر في الترحال ساقينا
ولا آذى هبوب الريـ ـح في أمشين أذنينا
ولم يحرق لهيب الشمـ ـس في تموز عينينا
ولم يوجع حصى أرض توسدناه جنبينا

★ ★ ★

فهل ننسى الذي قلنا • لا كذبا ولا مينا ؟ !
وهل ننسى الذي عشنا • لا عيبا ولا شينا ؟ !

★ ★ ★

بكل يقين احساسي بصدق نقاء حبينا
أقول بأننا لم نـنـ ـس بل نحن تناسينا
فعد يا صاحبي للحـ ـب عد لصفاء عيشينا
فلن تخضر دنيانا ونهنا في حياتنا
بغير الحب والنجوى وعودة وصل حبلينا

الشذوذ والقاعدة في كلام العرب

(مقـــدمة)

يرى بعض رجال التربية أن من الخطأ التعريف بالخطأ ، لأننا بالتعريف به نثبته فى الاذهان أو على الأقل نشتت فيه الأذهان ، فنضربه من حيث نريد أن ننفع ، ونعكس به المقصود من العملية التعليمية .

وعلى هذا يصبح من الخطأ الحديث عن الشذوذ فى الأساليب اللغوية الواردة عن العرب .

وقد يكون هذا حقا ، ولكنه – بغير شك – ليس هو الحق فى كـــل الأحوال ، اذ اننا فى مرحلة متقدمة من مراحل التعليم لا نستغنى عن توسيع المجال أمام المتعلم حتى يحيط علما بكل موضوع ما يتعلمه أو أكثره ، الفصيح منه وغيره ، والشائع منه والشاذ النادر .

فاذا صح فى بداية التعليم ولناشئة المتعلمين ، ألا نعرض الا الشائع فى اللغه ، والا نعلم غير القواعد والاصول . فلا يصح بحال بعد أن نقطع فى التعليم شوطا ، وحين نتعامل مع شباب المتعلمين وكبارهم ... لا يصح ان نحجب الرؤية عنهم فى محترزات القواعد والا نكشف لهم عن القليل أو النادر الشاذ فى الأساليب العربية التى جرى بها اللسان العربى .

وان فى ذلك الكثير من الفوائد ، ففضلا عن أن فيه زادا لابد أن يتزود به الكبار من المتعلمين ، فهو يطلعهم على بعض اللهجات العربية التى تشكلت منها فى النهاية اللغة الفصحى ، وهو يحدد للطـلاب مواضـــع أقدامهم أو ألسنتهم فلا ينكفئون فى العثرات اللغوية والنحوية ، على أن عرض القواعد وشذوذها قد يطلع الطلاب على أسرار تلك القواعد وتعليلاتها ، ثم يدفعهم الى تذوقها فى الأساليب العربية ، والاحساس بتأثيرها فى سهولة النطق وجمال التعبير ، فى الوقت الذى يحسون فيه بعكس ذلك فى استعمال الشـــاذ ،

فينتهون الى الايمان بالقاعدة لا مجرد الاحاطة بها والتثبت منها ، وكما يقول القائل : والضد يظهر حسنه الضد ، أو كما يقول غيره : « وبضدها تتميز الأشياء » .

على أن منشأ العلوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة ، او أعظم الدوافع اليهما ، **كان هو الدافع الدينى للاقتدار على قراءة التراث الاسلامى وفهمه .** واول ذلك التراث ــ بغير شك ــ القرآن الكريم والسنه النبويه الشريفه ٠

واذا كانت بعض الأساليب القرآنية قد جرت على ما هــــو القليل فى الاستعمال العربى(١) والقرآن الكريم قمة البلاغة العربية ٠٠٠ فقد اصبح من الضرورى احترام ذلك القليل ودراسته والاهتمـــــام به ، بل وجعله فى بعض الأحيان أساسا للدراسة ، فهو يعين عـــلى فهم بعض أساليب القران الكريم والحديث النبوى الشريف ، مما قد لا نفهمه الا بمعرفته ، هذا فضلا عن أنه جزء من تراثنا العظيم ٠

فاذا كنا قد جرينا على أن نبدأ بالقاعدة ونركز عليها فى كل مستويات التعليم ، فلنبدأ فى المستوى العالى منه ذات مرة بالشواذ واللغات القليلة فى الاستعمال اللغوى لدى العرب ، لما ذكرنا من أسباب وليكون ذلك تغييرا فى مجرى دراسة الطلاب للقواعد وحفزا أكثر لهم الى اعادة تحصيلها ٠

ولعل عملية التنقيب فى اللغة والتقليب لقواعدها على وجوهها والمقابلة بين بعضها وبعض ، تورث فى الطالب النابه بالتفحص والتمعن ، ذلك العشق الذى نرجوه من طلابنا للغتنا الجميلة ولقواعدها الأصيلة ٠

---

(١) من ذلك مثلا استعمال اسم الاشارة (هؤلاء) للاشارة الى جمع غير العاقل ، كقوله تعالى : « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » . فالكثير الاشارة به الى جماعة العقلاء ، والقليل الاشارة به الى جمع غير العاقل ، كما فى الآية الكريمة ٠

مسألة أولى (١)

الشذوذ والقاعدة فى :
(أبوك وأخوك وحموك)

١ ــ ان قيل : **جاء أبك ، ورأيت أبك ، ونظرت الى أبك** : فهى لغة نادرة ٠

٢ ــ وان قيل : **جاء أباك ، ورأيت أباك ، ونظرت الى أباك** : فهى لغة قليلة ٠

٣ ــ وان قيل : **جاء أبوك ، ورأيت أباك ، ونظرت الى أبيك** : فهىاللغة الشائعة ٠

(البيـــــان)

١ ــ يمدح الشاعر العربى عدى بن حاتم الطائى واصفـا ايـاه بالكرم اقتداء بأبيه فيقول :

بأبه اقتدى « عدى » فى الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

فيحذف لام « الأب » أى آخر حرف فى هذه الكلمة(٢) وهو الـــواو ، ويسمى هذا « نقصا » ٠

والنقص فى « أب وأخ وحم » لغة نادرة أى قليلة جـــدا أى شاذة فى الاستعمال ، فاذا قلنا بها قلنـــا : جاء أبك ورأيت أبك ونظرت الى أبك ،

---

(١) راجع هذه المسألة فى باب الاسماء الستة فى كتب النحو كشرح ابن عقيل لألفية بن مالك لابن عقيل ، وشرح شذور الذهب لابن هشام ، وحاشية الصبان على شرح الاشمونى لالفية ابن مالك والتصريح للأزهرى على التوضيح لابن هشام ، وتهذيب التوضيح فى النحو لمحمد سالم على وأحمد مصطفى المراغى ، ومنار السالك الى أوضح المسالك لمحمد عبد العزيز النجار وعبدالعزيز حسن والنحو الوافى لعباس حسن وكتابنا اليسير فى النحو وتطبيقاته ٠٠ الخ ٠

(٢) ففى آخر الكلمات : « أب وأخ وحم » وكذلك فى آخر الكلمتين « فم وهن » واو محذوفة تخفيفا ، اذ الأصل أبو ، وأخو وحمو وفمو وهنو ٠

فنعرب الأب بالحركات الظاهرة علـــى البـاء ، أى بالضمة رفعا وبالفتحة نصبا وبالكسرة جرا ·

وشاعرنا قد جر كلمة « أب » الاولى فى البيت بالكسرة . ونصب كلمة «أب» الثانية بالفتحة لأنه جاء بهما بلغة النقص هذه النادرة فأعربهما بالحركات الظاهرة ·

٢ ـ ويمدح شاعر آخر امرأة بأن أباها وجدها قد بلغا غاية المجـــد والشرف فيقول :

ان أباهـــا وأبا أباها   قد بلغـــا فى المجد غايتاها

فيلتزم فى كلمة « أب » الألف دائما ، ولكن يظهر ذلك الالتزام فى كلمة « أب » الثالثة فى البيت حيث جاء بها بالألف وهى مجرورة بالاضافة · وفى الأمثال العربية : «مكره أخاك لا بطل» (٤) وأخاك فيه مبتدأ ، وقد جاء بالألف وهو مرفوع ·

ويسمى ذلك قصرا ·

والقصر فى «أب وأخ وحم » ـ بمعنى أن تظل هذه الكلمات بالالف فى كل الأحوال رفعا ونصبا وجرا ـ لغة قليلة ، ولكنها أشهر من لغة النقص فيهن ، فاذا قلنا بها قلنا : جاء أباك ورأيت أباك ونظرت الى أباك ، فنعرب « الأب » بالحركات المقدرة على الألف للتعذر ، أى بالضمة المقدرة فى حالة الرفع ، وبالفتحة المقدرة فى حالة النصب وبالكسرة المقدرة فى حالة الجر ·

وشاعرنا قد نصب كلمة « أب » الأولى والثانية بفتحة مقدرة على الألف للتعذر وجر الثالثة بكسرة مقدرة على الألف للتعذر ، لانه استخدم لغة القصر القليلة فيها وهى أن تبقى بالألف دائمـا ، فأعربها بالحركات المقدرة عـــلى الألف ·

٣ ـ ويأتى شاعر ثالث فيعرف الأخ الصادق الأخوة بأنه الذى يعينك

---

(٣) قيل أن أول من قال هذا المثل هو عمرو بن العاص لما أمره معاوية بالخروج الى مبارزة على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، فلما التقيا قال عمرو : « مكره أخاك لا بطل » ، فأعرض عنه . وذكره«الاخ » للاستعطاف ، فصار هذا مثلا يضرب لمن يحمل على ماليس من شأنه ·

وقت الشدة فيقول :

أخوك الذى أن تدعه لملمة (١) يجبك ، وان تغضب الى السيف يغضب

فيأتى بكلمة « الاخ » غير ناقصة أو مقصورة – ويسمى مجيئها هكذا بالاتمام – ويرفعها بالواو ٠

والاتمام فى « أب وأخ وحم » هو اللغة الشائعة التى جـــرى بهـــا الاستعمال الغالب فى لغة العرب والتى نستخدمها نحن الآن ٠

وبها نقول : جاء أبوك ورأيت أباك ونظرت الى أبيك ٠

فنعرب الأب بالواو رفعا ، وبالألف نصبا ، وبالياء جرا(٢) ٠

وشاعرنا قد رفع كلمة « أخ » فى البيت بالواو لانه استخدم فيها لغة الاتمام الكثيرة الشائعة وهى أن نعربها بالواو رفعا كما فى البيت ٠ وبالألف نصبا وبالياء جرا ٠

فالشذوذ فى « أب وأخ وحم » هو لغـة النقص واعرابهـا بالحركات الظاهرة ٠

والقليل فيها : هو لغة القصر واعرابها بالحركات المقدرة على الألف ٠
والكثير أو القاعدة فيها : هو لغة الاتمام واعرابها بالحروف ٠

---

(١) الملمة : المصيبة ٠

(٢) ولكن لاعراب هذه الاسماء الثلاثة بالواو رفعا والالف نصبا والياء جرا يشترط أربعة شروط عامة هى :

١ – أن تكون مفردة فان كانت مثناة أو مجموعة أعربت اعراب المثنى أو الجمع ٠

٢ – وان تكون مكبرة . فلو كانت مصغرة أعربت بالحركات الأصلية الثلاث ٠

٣ – وان تكون مضافة . فان لم تضف أعربت بالحركات الأصلية ٠

٤ – وان تكون اضافتها لغير ياء المتكلم فاذا أضيفت الى ياء المتكلم أعربت بحركات مقدرة قبل الياء ٠

ومثل الأسماء الثلاثة فى الاعراب والشروط الأربعة كلمة « هن » ومعناه شىء . وان كان النقص فى هذه الكلمة أشهر من الاتمام . وكذلك كلمة «فم» ولكن يشترط فيها شرط خامس خاص وهو أن تحذف الميم من آخرها والا أعربت بالحركات على الميم ٠

ومثل الأسماء الثلاثة فى الاعراب والشروط الثلاثة الاول كلمة «ذو» بمعنى صاحب لأنها لا تضاف الى ياء المتكلم ، ولكن يشترط فيها شرط رابع خاص وهو ان تكون اضافتها الى اسم دال على الجنس كأن تقول هو ذو فضل أو ذو أدب أو ذو مال ٠

اللغـــات فى (أب وأخ وحم)

النقص (أبك)
وهى لغة نادرة وفيها
تعرب هذه الكلمات
بالحركات الظـــاهرة

فترفع ، وتنصب ، وتجر
بالضمة بالفتحة بالكسرة

تقول
جـــاء أبك
رأيت أبك
نظرت الى أبك

القصر (أباك)
وهى لغة قليلة وفيها تعرب
هذه الكلمات بالحركات المقدرة
على الألف .

رفعـا ونصبا وجرا

جـــاء أباك
رأيت أبـــاك
نظرت الى أباك

الاتمام (أبوك وأباك وأبيك)
وهى اللغة الشائعة وفيهـــا
تعرب هذه الكلمات بالحروف .

بالواو ، وبالالف ، وبالياء
رفعـا نصبا جـرا

جـــاء أبوك
رأيت أبـــاك
نظرت الى أبيك

مسالة ثانية

الشذوذ والقاعدة في

جمع المذكر السالم

المحمدون والناجحون (١)

١ – ان قيل : جاء المحمدين ، ورأيت المحمدين ومررت بالمحمدين

أو جاء الناجحين ورأيت الناجحين ، ومررت بالناجحين

فهى لغة نادرة

٢ – وان قيل : جاء المحمدون، ورأيت المحمدين، ومررت بالمحمدين

أو جاء الناجحون ، ورأيت الناجحين ، ومررت بالناجحين

فهى اللغة الشائعة

البيـــان

١ – يقول ذو الأصبع العدوانى مفتخرا :

انى أبى أبى ذو محـــافظة   وابن أبى أبى منْ أبيين

و « أبيين » جمع مذكر سالم ، لان مفردها « أبى » و «أبى» صفة استوفت شروط جمعها جمع مذكر سالما .

---

(١) المحمدون : جمع محمد ، وهو اسم استوفى شروط جمعه جمع مذكر سالما ، لأنه علم لمذكر عاقل خال من تاء التأنيث ومن التركيب .

والناجحون : جمع ناجح ، وهو صفة أستوفت شروط جمعها جمع مذكر سالما لانها صفة لمذكر عاقل خالية من تاء التأنيث ليست من باب أفعل فعلاء كأحمر وحمراء . ولا فعلان فعلى كسكران وسكرى ولا مما يستوى فيه المذكر والمؤنث كصبور وجريح .

وقد أجراها الشاعر مجرى المفرد فجرها بالكسرة الظاهرة على النون وهذه لغة نادرة ، فان قلنا بها قلنا :

جاء المحمدين ورأيت المحمدين ومررت بالمحمدين ٠

وجاء الناجحين ورأيت الناجحين ومررت بالناجحين ٠

بالياء مطلقا والاعراب بالحركات على النون ٠

وبهذه اللغة نفهم بيت ذى الأصبع العدوانى ، الذى جـــرى عليها ، فاعرب « ابيين » بالحركات اذ جره بالكسرة الظاهرة على النون كأنه مفرد مثل « حين أو غسلين أو مسكين أو يقطين أو عربون ٠٠٠ الخ » (١) ٠

٢ ــ يقول امير الشعراء شوقى مادحا الرسول عليه السلام :

الاشتراكيون انت امامهم ۝ لولا دعاوى القوم والغلواء

ويقول الله تعالى : ان المتقين فى جنــــات ونهر ٠ ويقول سبحانه : ان للمتقين مفازا ٠

« الاشتراكيون » فى البيت ٠ جمع مذكر سالم وقد رفعها الشـــاعر بالواو ٠ و « المتقين » فى الآيتين جمع مذكر سالم ، وقد نصبت الاولى بالياء نيابة عن الفتحة وجرت الثانية بالياء نيابة عن الكسرة ٠

وهذه هى اللغة الشائعة والتى يجرى بها استعمالنا اليوم ، وهو اعراب جمع المذكر السالم بالحروف فيعرف بالواو فى حالة الرفع نيابــة عن الضمة ، ويعرب بالياء فى حالة النصب نيابة عن الفتحة وفى حالة الجر نيـــابة عن الكسرة ٠

وبهذه اللغة نقول : جاء المحمدون ورأيت المحمدين ومررت بالمحمدين ، وجاء الناجحون ورأيت الناجحين ومررت بالناجحين ٠

---

(١) بهذه اللغة نفهم كذلك قول سحيم بن وثيل الرياحى ٠

وماذا تبتغى الشعــــراء منى ۝ وقد جاوزت الأربعـــين

حيث سمع بكسر نون الأربعين ٠ وقول الفرزدق :

ما سد حى ولا ميت مسد همـــا ۝ الا الخلائف من بعد النبيين

حيث سمع أيضا بكسر نون « النبيين » ٠ وان كان البعض يخرج الابيات الثلاثة على أن جمع المذكر السالم فيها لم يعامل معاملة المفرد فلم يعرب بالحركات وجــر بالكسرة ، وانما أعـرب بالحروف وجر بالياء نيابة عن الكسرة ، ولكن الشعراء الثلاثة كسروا النون شذوذا لأن كسر نون جمع المذكر السالم وما الحق به شاذ وقيل هو لغة ٠

ملاحظـة :

لغة عامة مصر توافق هذه اللغة العربية القديمة فهم يجعلون جمع المذكر بالياء دائما لكنهم يسكنون الآخر فيقولون : ذهب المستعمرين ، وأخرجنا المستعمرين ، وياويل المستعمرين ٠

اللغات فى جمع المذكر السالم
(المحمدون والناجحون)

اللغة النادرة
جعله باليـــاء دائما
والاعراب بالحركات الظاهرة على النون

- بالضمة رفعـا: جاء المحمدين – الناجحين
- وبالفتحة نصـبا: رأيت المحمدين – الناجحين
- وبالكسرة جـــرا: مررت بالمحمدين – الناجحين

اللغة الشائعة
الاعراب بالحروف

- بالواو رفعا: جاء المحمدون – الناجحون
- نصبا: رأيت المحمدين – الناجحين
- وباليـــاء وجرا: مررت بالمحمدين – الناجحين

الأخطاء اللغويّة الشائعة

الأخطاء اللغوية الشائعة

(قيمة حصرها ـ كيفية عرضها ـ التآليف فيها ـ نماذج منها)

الأخطاء اللغوية :

المقصود بالأخطاء اللغوية هو ما يحدث من الانحراف عن سنن العربية ، سواء أكان ذلك فى ذات اللغة ، أو بعدم وضع الالفاظ والأساليب فى مواضعها الصحيحة كما استعملها العرب ، أو كان فى قواعد اللغة من نحـــو وصرف وغيرهما ٠

دواعى الكتابة عنها :

وقد جعلت حديثى فى هذا الموضوع عقب الحديث عن « الشذوذ فـــى اللغة » لسببين أساسيين هما :

١ ـ أن بعض الناس توهموا ان الشاذ فى اللغة من باب الخطأ اللغوى ، وهذا خطأ ، فالشاذ عن القياس منقول الاستعمال عن العرب ، وهـــو مقبول الاستعمال منا ، ولكن مع عدم التجاوز به عما قالوه ٠

٢ ـ أننى كنت قد أجزت فى موضوع الشاذ فى اللغة ، دراسته (لطلاب الفرق الدراسية العالية) والانتهاء بدراسة القاعدة ، وبررت هذه التجويز فى مقدمة البحث ٠ وأريد هنا أن أقول غير ذلك بالنسبة لعرض الاخطاء اللغوية ، فأنا لا أجيز فى عرضها أن تقدم فى الذكر على الصواب ، لان ذلك يعارض قاعدة من قواعد علم التربية ، وهى أنه لا يجوز أن تقع عين القارىء على الخطأ حتى لا يلتصق بالأذهان ، فان أشير اليه ، فلتكن اشارة عابرة ، وان سجل فى الكتابة فليكن فى الهامش من الكلام أو الى جانبه ٠

وقد دعانى الى الحديث فى هذا الموضوع غير ما ذكرت آنفا دواع كثيرة، أهمها :

١ ـ ان هذه الأخطاء كثرت فى كتابات الكتاب ، واحاديث المحدثين من خاصة المثقفين كثرة جعلت أمرها فى اللغة خطيرا ، وتجعل حرصنا على التصدى

لها لوقفها أو التقليل من خطرها أمرا لازما ، فلم تعد هي زلات ألسنة وسقطات أقلام ـ كما كانت ـ بل أصبحت داء قد استشرى حتى ليكاد يغير وجه اللغة الفصيحة ، ولهذا فلعلنا لم نعد في حاجة الى حصر لحن العامة ، بل ولا الى حصر لحن الخاصة ، فقد جاوز هذا وذاك الحصر وانما اصبحنا في حاجة الى حصر لحن خاصة الخاصة من المثقفين والكتاب، اذا ما أكثره عندهم وأشيعه وأشنعه ٠

٣ ـ ان ما كتب في هذا المجال قديما وحديثا ـ على كثرته ـ يعد قليلا وناقصا ، وهو على قلته ليس صوابا كله ، بل ان بعض ما يقال فيه على أنه خطأ هو الصواب ، وذلك ان الجهود والاجتهادات فيه هي جهود واجتهادات فردية ، وهي مهما تكن من القوة والدقة عرضة للزلــــل والانحراف ، وأكثر من ذلك ان بعض من لم يوهبوا الاستعداد لهـــذا العمل قد دسوا بأنوفهم فيه ، فنقلوا نقلا آلياأدى الى وقوعهم في خطأ أكثر مما وقع في الأصول التي نقلوا عنها ٠

٣ ـ ان الخلاف قد اشتد حول تمييز الخطأ من الصواب ، حتى لتحار فـــي بعض الاحيان أتعد الكلمة من الصواب أم من الخطأ ؟ ومأتى ذلك ان المنهج الذي جرى عليه المحققون في هذا الباب مختلف ، فبينما نجد البعض في منهجه في تحديد الصواب يبحث عن الافصح ومشهوراللغات، فيعده هو الصواب وغيره الخطأ ، اذ بالبعض يبحث عن الصحة فقط ، وبينما نجد البعض يبحث عما جاء بأصل اللغة ، فما وافقه فهو الصواب، وما خالفه فهو الخطأ ، اذ بالبعض يحاول التأويل لما خالف أصل اللغة، فيحيل الخطأ بهذا التأويل صوابا ٠

٤ ـ ثم بعد ذلك يجيء الخلاف في الاتجاه في جمع الاخطاء وترتيبها ، فبينا يكتب البعض في لحن العامة ، اذ بالآخرين يكتبون في لحن الخاصة ، الا انه بعد أن فشا اللحن في العامة اتجه التأليف الى لحن الخاصة ـ خاصة ٠ وبينا يرتب البعض الاخطاء ترتيبا أبجديا ، اذ بالبعـــض الآخر يصنفها تصنيفات تتقارب وتتباعد وتتداخل ٠

هذه أهم الدواعي التي دعتني الى الكتابة في هذا الموضوع ، فــــاذا استنطقنا بعضها أو وقفنا عن بعضها نسائلها لمزيد أهميتها واهتمامنا بها أجابت بما يأتي :

نشأة اللحن وموقف القدماء والمحدثين منه :

نشأ اللحن فى ألسنة العامة الذين لم يرزقوا السليقة العربية ، فنشأت عنه اللهجات العامية ، وتسرب الى السنة الخاصة العالمين بقواعد العربية ، اذ كان أغلب حديثهم مع العامة ، ونشئوا فى صغرهم على لغة ملحونه ، حتى لقد كان الرجل من المتأدبين اذا جرى فى الحديث على سليقته يقع فى اللحن، واذا تحفظ نأى عنه • ويذكر فى هذا أن « الفراء » لحن أمام « هرون الرشيد» فقال « جعفر البرمكى » : انه لحن يا أمير المؤمنين فقال الرشيد للفراء : أتلحن قال : ان طباع أهل البدو الاعراب ، وطباع أهل الحضر اللحن ، فاذا تحفظت لم ألحن ، واذا رجعت الىالطباع لحنت • والفراء هو الأمام المعروف فـــى العربية • ومن طريف ما يروى فى ذلك ان ابا اسحق ابراهيم النجيرمى كان فى مجلس « كافور الاخشيدى » فدخل « أبو الفضل بن عياش » ، ودعا لكافور فقال : أدام الله أيام مولانا بخفض «أيام» ، فتبسم كافور ، ونظر الى النجيرمى، وفطن للحن ، فقام أبو اسحق النجيرمى وأنشد ارتجالا :

لا غرو أن لحن الداعى لسيدنا	وغص من هيبة بالريق والبهر
فمثل سيدنا حالت مهابتـــه	بين البليغ وبين القول بالحصر
فان يكن خفض «الايام»من دهش	من شدة الخوف لا من شدة البصر
فقد تفاءلت فى هذا لسيدنـــا	والفأل نأثره عن سيـــد البشر
بأن ايامه خفض بلا نصب	وان دولته صفو بلا كدر

ولقد كان هذا اللحن الذى فشا فى نظر العربى القديم عملا من أشنع الاعمال ، ولذلك :

أ ــ اعتبروه منقصة وعارا على الشريف ، يقول عبد الملك بن مروان : « الاعراب جمال للوضيع ، واللحن هجنة على الشريف » •
ويقول « اللحن فى الكلام أقبح من التفتيق فى الثوب النفيس »
وقال مسلمة بن عبد الملك : اللحن فى الكلام أقبح من الجدرى فى الوجه » •

ب ــ وحرصوا على عدم اقترافه ، يقول عبد الملك بن مروان عن سبب شيبه المبكر : « شيبنى ارتقاء المنابر ، وتوقع اللحن » •

ج ــ وجزعوا له حين الوقوع فيه ، فقد جزع الحجاج جزعا شديدا ممن اطلعه على لحنه مع انه كان السائل له عنه ــ وذلك ان الحجاج

سأل يحيى بن يعمر : اتسمعنى الحن على المنبر ؟ قال : الأمير أفصح من ذلك . قال : عزمت عليك لتخبرنى فقال يحيى : فى حرف . قال : أى ؟ قال : فى كتاب الله . قال : ذلك أشنع له . ففى أى شيء من كتاب الله ؟ قال : قرأت : « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموهـا وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله .. « فترفع» أحب وهو منصوب .

قال : اذا لا تسمعنى ألحن بعدها ، فنفاه الى خراسان .

فقد خشى الحجاج ان يذيع يحيى ــ عامدا أو غير عامد ــ هذه السوءة وهى اللحن عنه ، فتسقط مهابته ، ويتجرؤ العامة عليه ، فنفاه الى خراسان فى فارس حيث لا تشيع النعرة العربية هناك .

ويقول أبو الأسود : « اني لأجد للحن غمزا كغمز اللحم » .

وربما غير البعض طريقه فى الحياة بسبب لحنة وقع فيها . فقد لحـن « سيبويه» فطلب النحو ، وكان يطلب الآثار والفقه . ولحن « الكسائى » وقد بلغه الكبر ، فتعلم النحو وكان عنه منصرفا .

د ــ وكرهوه للأهل والأبناء ، يقول عبد الملك متحسرا على لحن ابنه الوليد : «أضربنا فى الوليد حبنا له ، فلم نؤدبه » . ويقول مرة أخرى : أضر بنا في الوليد حبنا له ، فلم نوجه الى البادية » .

فقد كان الوليد من اللحانين . يروى أنه قال يوما لابيه : « ياأمير المؤمنين اقتل «أبى فديك» ، وهو من رؤوس الخوارج « وقال مرة أخرى : يا غلام رد الفرسان الصادان عن الميدان » .

هـ ــ وكرهوا أهله من اللحانين : روى أن رجلا قرأ عند رسول الله فلحن ، فقال عليه السلام : « ارشدوا صاحبكم » ، وروى عن « عمر » انه مر على قوم يرمون السهام فلم يصيبوا المرمى ، فقرعهم . فقالوا : « انا قوم متعلمين » ، فأعرض عنهم وقال : « واللـه لخطؤكم فى لسانـكم أشد من خطئـكم فى رميكم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : رحم الله امرأ أصلح من لسانه » .

ويقول مسلمة بن عبد الملك : انى لأحب ان أسأل هذا الشيخ ــ يعنى عمرو بن مسلم فما يمنعنى الا لحنه » .

و – وآخذوا به وعاقبوا عليه ، فقد روى أن كتابا جاء الى عمر بن الخطاب فيه : «من أبو موسى ٠٠ » فكتب عمر الى الوالى يأمره أن يضرب بالسوط كاتبه الذى لحن فى كتابه اليه قائلا له «قنع كاتبك سوطا » أى اضربه به تأديبا له ٠

ويروى ان سجاحا الازدى الموصلى كان مع سليمان بن عبد الملك فقال له يا أمير المؤمنين : انأبينا هلك ،وترك مال كثير ، فوثب أخانا على مال أبانا فأخذه فقال سليمان : لارحم الله أباك ، ولا نيح (قوى) عظام أخيك . ولا بارك لك الله فيما ورثت ٠ أخرجوا هذا اللحان عنى ٠

وكل هذا الحرص على عدم اللحن والخوف منه ، والجزع له . والنعى على أصحابه – جعل العرب يسلمون أولادهم الى المؤدبين ليعلموهم . ويقوموا ألسنتهم ، ويقوهمشر ذلك اللحن ، وربما أخرجوهم الى البادية ليشافهـــوا الاعراب ويسمعوا منهم ، لانهم الأفصح والأصفى لغة ٠

وقد أجروا على المؤدبين الأرزاق الوفيرة ، وأهدوا اليهم العطايا السخية ، بل لقد رفعوهم من نفوسهم مكانا عليا ، فكان الكسب الأدبى لهم أعظم من الكسب المادى ٠

روى ان « الفراء » كان مع ولدى المأمون يوما فى بعض دروسه ، فلماهم بالنهوض لحاجة ابتدر الولدان الى نعله ليقدماها له ، فتنازعا أيهما يقدمهــا له ، ثم اصطلحا على أن يقدم كل منهما واحدة ٠ ولما علم المأمون بالخبر ، استدعى ، الفراء فلما دخل عليه سأله : من أعز الناس ؟ فقال : « لا أعرف أحدا أعز من أمير المؤمنين » فقال : «بلى ، من اذا نهض تقاتل على تقديم نعله اليه وليا عهد المسلمين » فقال : « ياأمير المؤمنين لقد أردت منعهما من ذلك ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقت اليهما ، أو أكسر نفوسهماعن شريفة حرصا عليها ، فقال له المأمون : لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لومـــا وعتبا وألزمتك ذنباوما وضع ما فعلا من شرفهما ، بل رفع من قدرهما ، وبين عن جوهرهما » ثم وهب له ولكل من ولديه جائزة سنية ٠

وشناعة اللحن لا تجىء من حيث انه مجرد تحريف للغة فحسب ، بل تجىء كذلك من حيث انه بهذا التحريف قد يقلب معنى الكلام ويوقع فى عكس المراد منه ، كما قيل من أن رجلا سأل أعرابيا : كيف أهلك (بكسر اللام) ؟ –

يريد كيف أهلك (بضمها) – فقال الأعرابي : صلبًا (١) ، ظن أنه سأله عن هلكه كيف يكون ٠

وقيل ان من أسباب وضع أبي الأسود لعلم النحو أن ابنته سألته ذات ليلة : ما أحسن السماء (بضم نون « أحسن » وكسر همزة «السماء») بصورة الاستفهام ، فقال لها : يابنية نجومها ٠ فقالت : انما أتعجب من حسنها ، فقال : قولي ما أحسن السماء . وافتحي فاك (أي بفتح النون والهمزة) ٠

وقد يوقع اللحن في عكس المراد من القرآن الكريم فتعظم شناعته ، كقراءة بعضهم « ان الله بريء من المشتركين ورسوله » بجر رسوله ٠

ولان هذا كان شأن اللحن في شناعته ، والخوف منه ، والجزع له ، والبعد عنه ، فقد فخر من وهب فصاحة اللغة بشرف البراءة من تهمته ، حتى قيل : ان رسول الله قال : « أنا أعرب العرب : ولدتني قريش ، ونشأت في بني سعد بن بكر ، فأنى يأتيني اللحن ؟! (١) ٠

ويقول بعض الشعراء مفتخرا بعدم اللحن :

اما تريني وأثوابي مقاربة ليست بخز ولا من نسج كتان
فان في المجد هماتي ، وفي لغتي علوية ، ولساني غير لحان

ومن لطائف ما يقال في الافتخار بعدم اللحن ما روى من قول أحد الصالحين : « لئن أعربنا في كلامنا حتى ما نلحن ، لقد لحنا في أعمالنا حتى ما نعرب » ٠

وقول أعرابي وقد دخل السوق فسمعهم يلحنون : « سبحان الله ! يلحنون ويربحون ، ونحن لا نلحن ولا نربح» ٠

وكما عابوا اللحن وحقروه – مدحوا اعراب الكلام وفصاحته وجريانه بحسب قواعد النحو وعظموه ٠

يقول بعضهم : الاعراب حلية الكلام ووشيه ٠

---

(١) قيل ان هذا الحديث واه غير صحيح ، ولكنه يستأنس به على كل حال في مقام اللحن ٠

ويقول بعض الشعراء :

النحو يبسط من لسان الألكن — والمرء تكـــرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم أجلـها — فأجلهـــا منهـــا مقيم الألسن

ويقول ابن سيرين : ما رأيت على رجلٍ أحسن من فصاحة .

ويقول ابن شبرمة : اذا سرك أن تعظم فى عين من كنت فى عينه صغيرا ، ويصغر فى عينك من كان فى عينك عظيما ، فتعلم العربية ، فانها تجريك على المنطق ، وتدنيك من السلطان . (١) .

ومن طريف ما يذكر فى مقـــام اللحن ما روى من أن أعرابيا دخل على هشام بن عبد الملك فقال له هشام له هشام : «كم عطاءك » ؟ قال : الفين، فسكت ساعة ، ثم قال له : كم عطاؤك ؟ قال الفان قال : فلم لحنت أولا ؟ قال : لم أشته أن أكون فارسا ، وأمير المؤمنين راجل : لحنت فلحنت ، ونحـــوت فنحوت . فاستحسن أدبه وأجازه .

وقوع القدماء فى اللحن اللغوى :

ولكن لأن اللغة من الملكات اللسانية ، فقد كان أهلها عرضةللانحراف عن الصواب والوقوع فى اللحن والخطأ ، لأن اللسان سريع الزلق للتشابه أو الوهم أو لغير ذلك من الاسباب كما يقول ابن خلدون :

ولذلك فقد وقع بعض العرب القدماء فى الخطأ اللغوى ، وهم الذين كانت الفصحى سليقة لهم .

فمن خطئهم فى المعانى ما ورد من قول امرىء القيس :

وأركب فى الروع خيفانة — كسا وجهها سعف منتشر

فهو يريد بالخيفانة الفرس . لأن الخيفانة فى الأصل الجرارة ، ولكن إذا غطى الشعر ناصية الوجه ـ كما ذكر ـ لم يكن الفرس كريما .

وما ورد من قول زهير بن أبى سلمى فى شؤم الحرب .

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم — كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

---

(١) عيون الاخبار ـ المجلد الرابع ـ طبعة الهيئة العامة للكتاب ص ١٥٥ وما بعدها .

فقد ضرب المثل فى الشؤم بأحمر عاد ، وانما هو أحمر ثمود الذى عقر ناقة صالح عليه السلام ، فأخذته وقومه الصيحة ٠

وأما خطأ العرب القدماء فى الالفاظ ، فيذكر الاستاذ النجار ان العربى القح لا يخطىء فى هذا النوع ، وهو الخاص ببناء الكلمات وتركيبها وتأليفها فى الكلام ، لأن العربية سليقة له مرن عليها لسانه ، وطبع عليها فلا يحيد عن الصواب فيها ٠ ولهذا يقول الشاعر :

ولست بنحوى يلوك لسانه ولكن سليقى أقول فأعرب

وانما الذى يخطىء فى ذلك هو من خالط العجم أوجاورهم ، ولذلك كان الرواة لا يأخذون العربية الا عمن كان فى وسط الجزيرة ويتجنبون من كان فى الأطراف مثل « قضاعة » اذ كانوا مجاورين للروم فى الشام ، ومثل «لخم» ، اذ كانوا مجاورين للفرس فى العراق ، ولذلك كان « الاصمعى » لا يرضى عن بعض ما جاء فى شعر عدى بن زيد ، اذ كانت نشأته فى الحيرة المتاخمة لبلاد الفرس ٠

ومن خطئه قوله :

ويلومون فيك يابنة عبد الله والقلب عندكم موثوق

والصواب أن يقول « موثق »لأنه من « أوثق»(١) ٠

ومن ذلك قول النابغة :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع

والصواب أن يقول « ناقعا » لأنه حال ، اذ جاء نكرة بعد معرفة (٢) ٠

ما كتب عن اللحن :

واما القليل الذى كتب عن اللحن ونرى أنه لا يفى بغرض الكتابة عنه من حيث الحصر كما نرى أنه فى حاجة الى التصفية والتنقية والتنخل ـ فنذكر منه :

---

(١) هذا اخلال بقاعدة صرفية فى صوغ اسم المفعول من الفعل الرباعى ٠ ويسمى علماء البلاغة هذا الخطأ بمخالفة القياس ٠

(٢) هذا اخلال بقاعدة نحوية فى نصيب الحال ٠ ويسمى علماء البلاغة هذا الخطأ بضعف التأليف ٠

أولا : ما كتب منشورا فى المجلات الأدبية والصحف ، اذ قلما نجد مجلة أدبية أو صحيفة سيارة الا وقد تعرض بعد كتابها فى بعض الاوقات الى ما يقع فيه الناس من اللحن فى اللغة .

ثانيا : ما كتب فى كتب خاصة بهذا الموضوع . وقد بدأت الكتابة فى هذا الموضوع فيما تلحن فيه العامة ، فلما فشا اللحن فيهم اتجه التأليف الى لحن الخاصة .

أ ــ وأقدم ما نعرفه مما كتب فى اللحن هو كتاب « **ما تلحن فيـــه العوام** » للامام الكسائى المتوفى سنة ١٩٢ هـ ، وهو كتاب صغير الحجم ، وقد طبع مع رسالتين أخريين فى المطبعة السلفية فى سنة ١٣٤٤ هـ ، وحققه وعلق عليه الاستاذ عبد العزيز الميمنى .

ومما جاء به : «يقال» هذا خصم ، وأنت خصم ، بفتح الخاء ، ولا يقال بكسر الخاء قال الله عز وجل : هذان خصمان اختصموا فى ربهم . ونقول : تأذيت بالدخان بتخفيف الخاء ، قال الله تعالى : « يوم تأتى السماء بدخان مبين » ويقال : حاطك الله بعونه ، بغير ألف (يقصد بغير همزة وهى التى تسمى بهمزة التعدية) .

ب ــ وكتاب «**اصلاح المنطق** » لابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ هـ .

ومما جاء به : تقول هو الكتان (بفتح الكاف) ولا تقل الكتان (بكسر الكاف) ، وتقول : هى الغيرة (بفتح الغين) ــ ولا تقل الغيرة (بكسر الغين) ، وتقول : هو البطيخ (بكسر الباء) والعامة تقول بطيخ (بفتح الباء) . وتقول : أجد فى بطنى مغضا (بسكون الغين) ولا تقل مغصا (بفتح الغين) ، وتقول : قد آذيته اذا حاذيته ، ولا تقل وازيته .

ج ــ وكتاب « **أدب الكاتب** » لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ وقـــد عرض فيه لبعض أخطاء العامة منتشرة فى الكتاب غير مجموعة ، ومثله كتاب (الأمالى) لابى على القالى .

ومما جاء به قوله : « من ذلك الطرب ، يذهب الناس الى أنه فى الفرح دون الجزع وليس كذلك ــ انما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة الجزع .

ويذكر شاهدا على استعماله فى الجزع قول الشاعر :

يقلن لقد بكيت فقلت كلا   وهل يبكى من الطرب الجليد ؟!

ويقولون : رجل أعزب ، وانما هو عزب ، ويقال : فلان أعسر يسر ، وهو الذى يعمل بكلتا يديه ، ولا يقال أيسر ، ويقال : شغب الجند (بسكون الغين) وتقول عيرتنى كذا ولا تقل عيرتنى بكذا قال النابغة :

وعيرتنى بنو ذبيان خشيته . وهل على بأن أخشاك من عار ؟

وهى لثة الرجل (بكسر اللام وتخفيف الثاء) لما حول أسنانه ، ولا يقال لثة (بفتح اللام وتشديد الثاء) .

وكتاب فصيح اللغة لأبى العباس ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هى فيه تصحيح لبعض أخطاء العامة فى اللغة وفيه تنبيه الى ما هو الأفصح يقـــول فى مقدمته : « هذا كتاب اختيار فصيح الكلام مما يجرى فى كـــلام الناس وكتبهم ، فمنه ما فيه لغة واحدة والناس على خلافها ــ فأخبرنا بصواب ذلك .. ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك ــ فاخترنا أفصحهم ومنه ما فيه لغتان كثرتا ، واستعملت فلم تكن احداها أكثر من الأخرى . فأخبرنا بهما » .

وقد قسمه الى أبواب :

ومما جاء فى باب « المفتوح أوله من الأسماء » : تقول : هو الرصاص . وهو خصم الرجل ، وهو الكتان وهو العربون بفتح العين والراء وهو السحور والفطور .

وهناك « ذيل الفصيح » الذى كتبه الشيخ أبو محمد عبداللطيف البغدادى فى نهاية القرن السادس الهجرى وفيه ذكر للصواب فيما يقع فيه العامة من الأغلاط اللغوية ، ولأنه جرى على ما جرى عليه ثعلب فى فصيحه فقد سماه ذيل الفصيح .

ومما جاء به فى باب « ما يضعه الناس فى غير موضعه » نقول : كتبت لثلاث خلون الى العشر ، فان زاد على ذلك قلت لاحدى عشرة ليلة خلت الى النصف ، وبعد ذلك نقول بقيت وبقين وبقينا الى آخر يوم من الشهر فتؤرخه بالسلخ .. وتقول السنة لأى يوم عددته الى مثله ، فقد يدخل فيه نصف الشتاء ونصف الصيف ، وأما العام فلا يكون الا صيفا وشتاء .. وتقول فلان يستحق كذا وهو أهل لكذا ، فاماقولهم يستأهل فهو مستأهل فمولد

ومعناه عند العرب الذى يأكل الاهالة ، وهى الشحم .. أقول استعماله بمعنى الاستحقاق سائغ فى القياس ، فيستأهل يستفعل من لفظ الأهل مثل يستأصل ويستأسد من لفظ الأصل والأسد .

وتقول ما كلمته قط ولا أكلمه أبدا ، لأن « قط » للماضى « وأبدا » للمستقبل .

وتقول : والله أفعل اذا أردت النفى ، فان أردت الايجاب قلت : والله لأفعلن أو انى لفاعل .

وكتاب الفصيح وذيله يعرضان الصواب فقط ليتجنب ما عداه ، وهذا أفضل – للتعليم والتربية – من عرض الخطأ ثم التعقيب عليه بالصواب ، وهو ما دعونا وندعو الى اتباعه فى كتابة كل ما يتصل بموضوع الصواب والخطأ فان كان لابد من ذكر الخطأ فليكن بخط رفيع فى هامش الكتاب أو على جانب الكلام .

د – وكتاب « **ما تلحن فيه العامة** » للزبيدى الاندلسى المتوفى سنة ٣٧٩ هـ ، وقد عرض فيه للحن العامة فى الاندلس فى عصره ، وهو من مخطوطات الاسكريال فى أسبانية . ولكن للصلاح الصفدى كتاب « **تصحيح التصحيف** » جمع فيه ما فى عدة كتب منها كتاب الزبيدى فى اللحن . ورتب ما جمعه على حروف المعجم ، رامزا لكل كتاب بحرف ، ورمز لكتاب الزبيدى بحرف الزاى . ومن هذا الكتاب نسخة مصورة فى الخزانة الزكية بدار الكتب المصرية .

ومما جاء عن الزبيرى فى هذا الكتاب :

« يقولون : التقدمة (بضم الدال) فى الشىء يقدم فيه ، والصواب : تقدمه (بكسر الدال) ، وكذلك ما كان على فعل (بتشديد العين) جاء مصدر على تفعلة قياسا ، ويقولون : اليوم تجربة وتجارب (بضم الراء) ، وهو خطأ بين .

ويقولون : الخزانة (بفتح الخاء) والصواب : الخزانة (بكسر الخاء)، ومن التورية البديعة قول بعضهم : « لا تفتح الخزانة » .

هـ ـ وكتاب «**درة الغواص فى اوهام الخواص**» للحريرى المتوفى سنة ٥١٦ هـ ، وقد وقع الحريرى فى بعض ما خطأ الناس فيه ، فقد منع ان يقال: كافة الناس ، وهو يقول فى الدرة« ص ١٠٩، وتشهد الآية باتفاق كافة أهل الملل « وبعض ما ذكره من أنه من أخطاء الخواص يغرب صدوره من الخواص وذلك كقولهم :

الحوامل تطلقن ـ وكقولهم مبرد ومقرعة ومطرقة بفتح الميم ، فان هذا أشبه بنطق العامة ٠

ومما جاء به قوله : ويقولون لمن يحمل الدواة : دواتى باثبات التاء ، وهو من اللحن القبيح والخطأ الصريح ، وجه القول أن يقال فيه : دووى لان تاء التأنيث تحذف فى النسب ٠ ويقولون : اجتمع فلان مع فلان ، فيوهمون فيه والصواب أن يقال : اجتمع فلان وفلان ٠ ويقولون : عشرون نفرا وثلاثون نفرا ، فيوهمون فيه لأن النفر انما يقع على الثلاثة من الرجال الى العشرة فيقال هم ثلاثة نفر ، وهؤلاء عشرة نفر ٠

و ـ وكتاب « **تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة** » للجواليقى المتوفى سنة ٥٣٩ هـ وقد صنف الاخطاء وقسمها الى أقسام ، فمنها ما يضعه الناس فى غير موضعه ، ومنها ما يقصرونه على مخصوص وهو شائع ، ومنها مـــا يقلبونه ويزيلونه عن جهته ، ومنها ما ينقص منه ، ومنها ما يزاد فيه، ومنها ما تبدل بعض حركاته ، ومنها ما تبدل بعض حروفه ٠

يقول فيما يضعه الناس فى موضعه : « من هذا الباب قولهم: المحسوسات أى المعلومات ، والصواب أن يقال المحسات ، لأنه يقال أحسست الشىء ، فأما المحسوسات فمعناها فى اللغة : المقتولات : يقال حسه ، اذا قتله ٠

وفى كتاب لطائف اللغة لأحمد بن مصطفى اللبابيدى الدمشقى المؤلف فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى فصل فى غلطات العوام ومما جاء فيه

يقولون : أمر مهول وصوابه هائل ، ويقولـــون ٠٠ هب أنك فعلت وصوابه : هبك فعلت ، ويقولون : ما رأيته أمس ، والصواب : ما رأيته منذ أمس ، ويقولون : عيرته بالكذب والصواب عيرته الكذب ٠

ومما جاء به من لطائف اللغه ما ذكره فى فصل « فى معرفة المطلق والمقيد » :

لا يقال : كأس الا اذا كان فيه شراب والا فهو زجاجة ٠

ولا يقال : مائدة الا اذا كان عليها طعام والا فهو خوان .

ولا يقال كوز الا اذا كان له عروة والا فهو كوب .

ز - وكتاب «**لغة الجرائد**» لليازجي ، المتوفى سنة ١٩٠٦ م . وقد جعل ميدان بحثه لغة الجرائد فتحدث عما فيها من اللحن ، وهذا يلحق بلحن الخاصة ، وقد عارضه بعض النقاد فصوبوا بعض ما خطأه .

ومما جاء به أنه أنكر « النوادى » فى جمع « النادى» ، وذكر أنه لم يسمع عن العرب مع أنه القياس ، وقولهم « هو عدو لدود ، وهو ألد اعداء فلان » يريدون باللد : شدة العداوة ، واللدود فى اللغة : الذى يغلب فى الخصومة . وأنكر قولهم : «هو من أهل الحماس » ، وانما هو الحماسة . وأنكر قولهم فى جمع النية : النوايا ، وانما هى النيات ، وفى جمع المكيدة : المكائد ، وانما هو المكايد .

ح - وكتاب «**تذكرة الكاتب**» لاسعد خليل داغر ، المتوفى سنة١٩٦٠م، وقد عارضه البعض فصوبوا بعض ما خطأ .

ومما جاء به انه أنكر قولهم : أمضى عقد الاتفاق بصفته وزيرا للداخلية، وذكر ان الوجه أن يقال : أمضى عقد الاتفاق كوزير للداخلية بالكاف .

ويعقب عليه الاستاذ النجار فيقول : هو تقليد للاسلوب الافرنجى ، وانما الوجه أن يقال : أمضى عقد الاتفاق بصفة كونه وزيرا للداخلية ، أوأمضى عقد الاتفاق وزيرا للداخلية .

ط - وكتاب « **محاضرات عن الاخطاء اللغوية الشائعة** » للاستاذ محمد على النجار ، وهو محاضرات القيت على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية، وهو من جزأين صغيرين الأول صدر عام ١٩٥٩والثانى فى العام الذى تلاه . وقد تحدث فيه عن الخطأ الذى يمكن أن يقع فيه القدماء ، وهو الخطأ فىمعانى الكلمات ، وعن أولية اللحن ، وعن التآليف فى اللحن سواء منها الموجود أو المفقود ، ذاكرا أمثلة مما جاء بها من اللحن وصوابه ، وهى التى أخذنا منها أمثلة لهذا البحث .

وللاستاذ النجار مجموعة ابحاث لغوية عظيمة ذكر بها مجموعة وفيرة من الكلمات والعبارات بحثها لغويا ، وعرض لها من حيث الفصاحة والصحة من وجهة النظر العربية . وقد بدأ هذه المجموعة فى مجلة الازهر تحتعنوان « مباحث لغوية » منذ ما يقرب من عام ١٩٤٦ واستمر بها بعد ذلك .

وان ما جمع من هذه الكلمات والاساليب تذخيرة عظيمة فى اصلاح الاخطاء اللغوية الشائعة ، ولكن تفرقها فى اعداد هذه المجلة لسنوات طوال دون جمعها فى كتاب يقلل الفائدة منها .

وهو يقدم للكلمة أو العبارة ، ويعرضها على ما ورد فى كلام العــرب، فما وافقه منها قبله وما خالفه رفضه .

ومن ذلك قوله (١) « على محمود عشرون فدانا » يجرى هذا فى أسلوب الناس ، وكنت أرى أن الوجه فى العبارة أن يقال : له عشرون فدانا ، أو عنده عشرون فدانا وما جرى هذا المجرى ، ولكنى وجدت فى كلام العــرب ما يوافق استعمال الناس ، ففى ديوان الهزليين ١٢٦/١ : « يقال : على آل فلان كور عظيم ، أي قطيع من الابل والبقر والظباء ، وعليهم أكوارمن الابل » والابل والبقر والظباء مال العرب فى البادية ، ومال غيرهم الارض المزدرعة .

وقوله (٢) « لما تزورنى أزورك » يكثر مثل هذا التأليف ... وهذا منكر لا يسوغ في العربية ، وذلك ان «لما» هذه ـ وتسمي الحينية ، لانها فى معنى «حين» ـ تختص بالماضى فلا تدخل على المضارع ، وهى تقتضى تعليق حدث على حدث آخر ، ويقال فيها : حرف وجود لوجود ، أو حرف وجوب لوجوب ومعنى ذلك انها تدل على وجود الثانى لوجود الاول ، أو وجوب الثانىلوجوب الأول ، ويقول صاحب المغنى « الثانى من أوجه «لما» ان تختص بالماضى ، فتقتضى جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما نحو « لما جاءنى أكرمته» .

ومن الكتب التى صدرت فى هذا الموضوع :

كتاب «**حول الغلط والفصيح على ألسنة الكتاب** » للاستاذ أحمد أبو الخضر منسى » وقد ذكر فى مقدمة كتابه ان مما جمعه فى كتابه ما هو خطأ لا ريب فيه ، وما ذكره بعض النقاد على أنه خطأ وليس بخطأ .

وهذا كتاب لطيف الحجم طبع سنة ١٩٦٣ م ، وأكثره نشره المؤلف فى الصحف فيما بين سنة ١٩١٥ ، سنة ١٩٥٠ .

ومما جاء بالقسم الاول فيه « قولهم تعرفت بفلان » ويريدون أنهمصاروا من شخصه على علم وصلة ، والحقيقة انه لم تقم معرفة ، ولم تتحقق صلـة

(١) مجلة الازهر مجلد ٢٩ سنة ١٣٧٧ هـ ، ١٩٥٧ م ص ٣٣٣ .

(٢) مجلة الازهر مجلد ٢٤ سنة ١٣٧٢ ، ١٩٥٢ م ص ٥٧٨ .

بتعديتهم الفعل بالباء ٠ فانك اذا قلت : تعرفت بزيد ، كان مرادك انـــك سميت انت بهذا الاسم وعرفت به فى الناس ٠٠٠ أما معرفة الناس مـــن الصلة بهم فذلك ان تعدى الفعل بالى ، فتقول : تعرفت الى فلان ٠

ومما جاء بالقسم الثانى وهو الخطأ الصحيح : قالوا ان جمع تلميذ : تلاميذ لا تلامذة ، وقد سمع هذا الجمع (تلامذة) أيضا ، وان كان الافصح « تلاميذ » ٠

جاء فى الجزء الثالث من الاغانى صفحة ١٩٩ فى أخبار بشاربن برد قوله : غضب بشار على سلم الخاسر ، وكان من تلامذته ورواته ٠

وكتاب « **الأخطاء اللغوية الشائعة على السنة الكتاب والأدباءوالاذاعيين**» للاستاذ محمد أبو الحسن ، وهو كتاب صغير جمع فيه صاحبه طائفة من الاخطاء الشائعة ورتبها بسبب حروف المعجم وقد صدر سنة ١٩٧٦ م ٠

ومما جاء به : « من الأخطاء الشائعة زيادة الواو بين الماضى المثبتو «الا» فيقولون ما تكلم الا وقال خيرا » ٠

ومنه : الأظافر ، لأن الظفر يجمع على أظفار وجمع الجمع : أظافير ، أما أظافر فمن لحن العوام ٠

وآخر ما اطلعت عليه فى هذا الباب من الكتب المطبوعة كتاب « **مـــن الأخطاء اللغوية الشائعة فى النحو والصرف واللغة** » للدكتور محمدأبوالفتوح شريف ، وكما يبدو من عنوانه فانه صنف بحسب ما ينتمى اليه الخطأ من العلوم اللغوية الثلاثة ، غير أنه جمع الى جانبها بعض أخطاء الهجاء ، وبعض ما يتوهم صحته وهو فصيح ٠

والكتاب بذلك جديد فى تبويبه ، وهو يعين الطلاب فى مادتى النحو والصرف لانه بمثابة التطبيق على بعض ما درسوا فيه من قواعد ٠

ومما جـــاء به فى أخطاء الصرف : يقولون خطأ : أيها الرجال تعالوا بضم اللام ، والصواب أن تقول أيها الرجال تعالوا بفتح اللام ٠ ويقولون خطأ : احتفلت الجامعة بعيد الخريجين ، والصواب أن تقول : احتفلت الجامعة بعيد المتخرجين ، لان الفعل « تخرج » ، واسم الفاعل «متخرج» ٠

ومنه فى اخطاء النحو : يقولون خطا دير وأديرة والصواب أن تقول :

دير واديار وديورة ، لان فعل بكسر الفاء تجمع على أفعال وفعولة والجمع الأول لم يسمع ٠

ومنه فى أخطاء اللغة : يقولون : فلان اخصائى الجراحة ، والصواب أن تقول : فلان مختص بالجراحة أو متخصص أو اختصاصى ، لان فعلها خص

ومنه فى مواجهة الكلمات الدخيلة : نقول الآن : التليفون ، ومن الاولى أن نقول الهاتف أو المسرة ، ونقول الآن دوسيه ، ومن الأولى ان نقول ملف أو اضبارة ، ومنه فى اخطاء الهجاء : يكتب البعض خطأ يا ابن الخطاب (بالالف) ، والصواب أن تكتب هكذا : يابن الخطاب ، لأن ألف (ابن) تسقط اذا دخلت عليها (يا) للنداء ٠

وكما ذكرت فان المجلات الأدبية يعرض بعض كتابها بين الحين والحين كلمات أو عبارات تجرى على السنة الناس منبهين الى صحتها أو خطئها فى العربية الفصيحة ومن ذلك ما عرضه الاستاذ محمد العنانى **بمجلة الأديب** اللبنانية الشهرية فى عددها الصادر فى مارس سنة ١٩٧٠ م وما أعقبه من أعداد ٠

ومما جاء به قوله : يقولون فلان لا يؤبه به ، والصواب : لا يؤبه له ، أى لا يلتفت اليه ، ويقولون : أثر فلان على فلان ، والصواب : أثر فيه أى جعل فيه أثرا وعلامة ، ويقولون : لم يدر أجاء خالد أم فريد ، والصواب لم يدر أخالد جاء أو فريد ، لان همزة الاستفهام هنا لطلب التصور ، وهو ادراك التعيين ، والتعيين هنا بين خالد وفريد ، وليس بين المجىء وفريد ، ومثله قولهم : سواء أكان الخطيب مهندسا أو طبيبا ، والصواب : سواء مهندسا كان الخطيب أم طبيبا ، فان الهمزة هنا للتسوية بين المهندس والطبيب ، وأحدهما يجب أن يأتى بعد الهمزة مباشرة ٠

ومن الابحاث اللغوية المتصلة بهذا الموضوع والمنشورة بالمجلات العربية ـ ماكتبه الاستاذ محمد خليفة التونسى فى **مجلة «العربى»** (١) تحت عنوان «كلمات فى الدراجة لها فى اللغة الفصحى أصالتها ندعو الى استعمالها كتابة ومحاضرة» فقد عرض الفاظا يكثر استعمالها فى العامية ، ولا يستعملها الكتاب والمحاضرون فى كتاباتهم ومحاضراتهم ، لأن جريانها فى الدارجة يجعلها فى نظرهم مبتذلة ،

---

(١) أنظر العدد ١٩٤ يناير سنة ١٩٧٥ وما بعده من المجلة ٠

وهى - كما يقول - لطيفة سائغة نطقا وسماعا ، ولان بعضها لم تذكره المعاجم أو لم نطلع عليه فى تراثنا الأدبى ، فيظنونها من الدخيل ، وهى كما يقول فى الذروة من الأصالة والمعاصرة ٠

ومن ذلك «خش» ، ففى الفصيح «خش فى الدار يخش خشا ، أى دخل فيها ، وكذلك خش فى الناس أى خالطهم وبهذا المعنى جاء حديث أحـــد الصحابة « فخرج رجل يمشى حتى خش فيهم » وكذلك خش فى الأمر ، أى مضى فيه ونفذ ٠

« خش » اذن مثل دخل فى وزنه ، وهو بمعناه أيضا ، فهو يستعمل لازما كما فى الأمثلة السابقة ويستعمل متعديا أيضا ، فتقول : خش المسافرون الطيارة ، كما تقول دخلوها ، وخش الجيش المعركة ، ولا تخش بيت غيرك حتى تستأذنه ٠

ومما يذكره من هذه الكلمات : نش ، وحاش ، وحوش ، وشاف ، وعشم، وتعشم ، وساب ، ووشوش ، والوشوشة ، وفرشح وتصريفاتها ٠٠٠ الخ ٠

وللاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف اجتهادان محمودة فى هذا الباب ، فهو يعرض فى بعض يومياته التى يكتبها لجريدة الأخبار - بعض الأخطاء اللغوية وصوابها ، أو بعض ما يظن أنه ليس عربيا ، وهو عربى فصيح ٠

ومن الأول ما ذكره (١) من أن بعض الناس يدخلون « أل » المعرفة خطأ على كلمة « غير » مع أنها - كما يقول النحويون - نكرة متوغلة فى الابهام : فلا يصح أن تدخل عليها أداة التعريف ، وانما تدخل على المضاف اليها ، مثل قوله تعالى : « الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم » ٠

والمحدثون يدخلون « أل » على « غير» ويكثر هذا فى لغة رجال القانون بصفة خاصة ، فيقولون : « مال الغير ، وحقوق الغير ، وما يجب نحو الغير» ويجمعون «غير» على «أغيار » ، وكلّ هذا لم يعرف فى أسلوب عربى صحيح، ولكن مجمع اللغة العربية أجاز التعريف والجمع فى « غير » ، وقال انهما أمران يقتضيهما شيوع هذا الاستعمال وذيوعه فى أساليب المحدثين ٠ ويعلق على رأى المجمع فى المسألة فيقول : وهذا أمر غريب من المجمع ، لأن الذيوع والشيوع ليسا حجة لاثبات الغلط ، واقرار الباطل ٠

ثم يقول : « ونحن لا نمنع دخول «أل» على « غير » اذا جاءت منقطعة عن الاضافة كما هو دارج فى لغة القانون ، مثل قولهم « مال الغير وحقوق

الغير » ٠ والمتقدمون أجازوا هذا حينما استعملوا كلمة « الغيرية » فى مقابل كلمة « العينية » ، وهى أن يكون كل من الشيئين خلاف الآخر ، وان كنا نستعمل «الغيرية » فى الحديث بمعنى الايثار أى فى مقابل ما نسميه بالأنانية ٠

أما الذى لا نجيزه ولا نوافق عليه فهو ادخال « أل » على « غير » فى حالة الاضافة مثلما نراه فى أساليب الصحافة من قولهم : « الغير المسئولين » أوالغير مسئولين » (١) ٠ والاستعمال الصحيح الفصيح أن نقول : « غير المسئولين » . كما جاء فى الآية الكريمة « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ٠

ومن الثانى وهو ما يظن عاميته وهو عربى فصيح ولو بالتخريج ما ذكره من استعمال كلمة « المقاولة » بمعناها حديثا ٠ فهو يقول (٢) : « يقال (لغة) قاومه أى بادله القول ، والمقاولة هى المفاوضة والمجادلة فى القول ، وهذا هو ما نصت عليه اللغة ، وهو الاستعمال الذى جرى عليه المتقدمون ، ولكننا فى الاستعمال الحديث نطلق المقاولة على عملية يتعهد فيها أحد الطرفين بتنفيذ مشروع ، أو عمل شىء مقابل أجر معين يؤديه الطرف الآخر ، ونسمى المتعهد الذى يقوم بهذا المقاول ، وهو استعمال صحيح ، لأنهم أخذوا ذلك من المفاوضة والمجادلة فى القول ، اذ لا شك أن اتفاق طرفين على تنفيذ مشروع أو عمل يقتضى المفاوضة والمجادلة حول الأجر ، وحول شروط التنفيذ ، واطلاق معنى الكلمة على كلمة أخرى لأدنى ملابسة أسلوب مقرر عند علماء العربية » ٠

---

(١) هذا ممتنع من ناحيتين : الاولى أن « غير » لا تدخل عليها « أل » والثانية أنه لا يجوز اضافة ما دخت عليه« ال » ٠

(٢) الاخبار فى ١٧٩٧/٧/٢٧ ٠

نتائج

مما سبق من الحديث عن الأخطاء اللغوية تتضح لنا الحقائق التالية :

١ — ان موضوع اللحن موضوع خطير ، لأن اللحن فى اللغة خطأ فادح وقد يصبح خطيئة وذلك اذا ما تعدى اللغة الى القرآن الكريم ، وهو قـــد ذاع وشاع ، فلم يقتصر على الخاصة وحدهم بل تعداهم الى خاصـــة الخاصة من المثقفين .

٢ — ان ما كتب فيه برغم كثرته قليل ، لأنه لا يجمع شتاته وأطرافه .

٣ — ان ذلك القليل الذى كتب فيه لم يحقق تحقيقا دقيقا يضمن الاطمئنان اليه والاعتماد عليه فى أنه صواب كله ، لأنه جهد أفراد ، ومهما تكن جهود الافراد واجتهاداتهم فانها لا شك عرضة للزلل ، ولهذا فانكثيرا مما كتب من الاخطاء قد عارضه النقاد وأثبتوا صوابه .

٤ — ان ما كتب فى هذا الباب قد عرض بطرق مختلفة من طرق العرض ، فبعضه رتب ابجديا ، وبعضه رتب تحت عنوانات مختلفة ، وبعضه رتب بحسب ما ينتمى اليه الخطأ من علوم النحو أو الصرف أو اللغـة أو الاملاء .

وهذه الطرق كلها سليمة وصالحة للعرض بها ، الا أن تعددها وتشتت مواضع اللحن فيها مما يقلل الفائدة المرجوة منها .

والذى أراه بعد هذا العرض لموضوع الاخطاء اللغوية الشائعة :

مقترحات

أولا : انه لا مانع من الاجتهادات الفردية فى هذا المجال لأنها لا شك مفيدة ولانها قد تسمح بالتوسع فى تحقيق كلمة أو عبارة كما فعل الاستاذ محمد على النجار فى تحقيقاته فى هذا الشأن التى نشرها فى مجلة الازهر لسنوات طوال ، ثم لانهذه الجهود الفردية تمهد السبيلأمام الاعمالالجماعية الكبيرة .

ثانيا : انه لما كانت الجهود والاجتهادات الفردية لا تعدو أن تكون أعمالا ضئيلة بالنسبة لهذا الموضوع الكبير الواسع ، فانه لابد من جهد جماعى تقوم به الجامعة والمجمـــع اللغوى وجميع المختصين باللغويـــات ... جهـــد

يجمع شتات الابحاث التى ظهرت فى هذا الباب ، ويحفظها لينفى عنها ما يمكن أن يكون قد شابها من الخطأ ، ويضع خطة أو منهجا يجرى عليه فى تحـديد الصواب ، فيأخذ بالافصح من اللغات فحسب وبما لاخلاف عليه من قواعـد اللغة أو بما يراه فى ذلك من رأى يجمع عليه ·

ثالثا : ضرورة وضع معجم للصواب من الكلمات والعبارات معاشارة جانبية أو هامشية الى ما يقع فيه العامة أو الخاصة من الخطأ فيها حتى يكون الصواب هو متن الكلام وصلبه ، فتقع العين عليه أول ما تقع ، وتكون المراجعة قاصرة عليه عندها ، فيبقى أثره هـــو العالق بالذهن دون سواه مـــن اللحن ·

رابعا : ان يرتب هذا المعجم ترتيبا أبجديا ، ثم توضع فهارس ، تصنف محتوياته تصنيفات قائمة على أساس انتمائها الى علوم العربية المختلفة ، أو على تصنيفات كتصنيفات الجواليقى فى كتابة « تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة » أو غير ذلك من التصنيفات التى تعين الدارس على الكشف وتساعد على الفهم ·

خامسا : ان تتكفل الدولة بتكاليف هذا المعجم اعدادا وطبعا ثم توزعه بالمجان على دور العلم والجامعات ، وعلى النقابات والمؤسسات المختلفة .ليكون بين يدى كل مشتغل بفن الكلام ·

سادسا : ان تتواصى القيادات الفكرية بالعمل بالمعجم كتابة ومشافهه، فيكتب ويتحدث به الكتاب والادباء والمعلمون والعاملون بوسائل الاعـــلام المختلفة وبذلك تصفو لغتنا من الاكدار وتسلم من الأخطار وتنقى من الشوائب·

والله ولى التوفيق

فهرس

رقم الإيداع ١٩٧٨/٣٨٦١